

دور سليم المبيض في جمع التراث الشعبي وتحليله

د. محمد بكر البوجي (*)

(*) أستاذ الأدب المشارك - جامعة الأزهر بغزة.

لقد حظي الفلكلور الفلسطيني بدراسات جادة بعد النكبة عام 1948، رغم ندرة المتخصصين في هذا المجال ، ولم يكن الدافع ترفاً ، وإنما باعتباره أداة من أدوات المواجهة التي يخوضها الشعب العربي في فلسطين، يقول الباحث نمر سرحان في ذلك:

"ويهدف كتاب التراث في فلسطين إلى هدف واحد تقريباً ، وهو التأكيد على أن الثروة الأدبية الشعبية توضح علاقة الشعب الفلسطيني بالحياة والكون ، نتجت عن تفاعله في الأرض، فأفرزت ثقافة وطيدة الجذور ، شامخة الأركان ، فهو شعب عاش آلاف السنين على أرضه مسالماً ، مكافحاً من أجل حياة مستقرة، فوجد أدباً شعبياً يشهد على ذلك ، بما فيه من أغاني وموسيقى وحكايات تخلد شخصيته العربية الفلسطينية"⁽¹⁾. وهناك جهد كبير ومتواصل من أجل ما جادت به قريحة هذا الشعب ، قام به العديد من الباحثين.

لهذا نرى أنه من الواجب علينا أن نثمن كل مجهود يحاول إبراز ملامح هذه الشخصية، والحفاظ عليها من الطمس والاستلاب ، يقول توفيق زياد:"إن الخطر الذي يهدد الفلكلور الفلسطيني متعدد الأبعاد ، منه عامل الزمن، وهذا سهل السيطرة عليه ، لكن الخطورة تكمن في سرقة هذا التراث ، ونسبته إلى غير أهله ، فقد عمدت إسرائيل إلى سرقة التراث الفلسطيني ، وادعت أنه تراث يهودي"⁽²⁾. وهذا السلوك الإسرائيلي أدى إلى تشييط الذاكرة الفلسطينية الشعبية وإلى تسجيل التراث الشعبي ودراسته ، حتى تستفيد الأجيال القادمة من خبرة الأجيال السابقة .

يعد الباحث سليم عرفات المبيض أحد أبرز الذين تفرغوا للبحث في هذا المجال ، ويمثل هذا البحث محاولة لإتصاف هذا الباحث من خلال الكشف عن الجوانب الإيجابية في جهوده، لنفكر قيمته في هذا المجال. وإذا كان الهدف من هذه الدراسة هو الكشف عن مجهود أحد الباحثين في دراسة التراث الفلسطيني والتعريف بأهم أعماله ونتاجه في هذا المجال فإن الأمل كبير في قيام عدد من الباحثين في بلادنا بإظهار الجوانب المضئية من هذا التراث الأصيل وتوضيح أوجه الصلة والارتباط الوثيق بينه وبين الأرض والإنسان ، ولعل من أهم القضايا الملحة في هذا الجانب إكمال ما بدأه سليم المبيض والباحثون من مجهودات كبيرة لما لهذه المجهودات من أهمية . وكذلك الكشف عن السرقات الإسرائيلية للتراث الفلسطيني التي تمثل جريمة في حق الحضارة الإنسانية ينبغي التصدي لها وإظهار أبعادها الاستعمارية وفي أثرها على الشعب الفلسطيني الذي يتعرض لأبشع أشكال الظلم والقهر .

اعتمدنا في بحثنا هذا المنهج الوصفي التحليلي ، محاولين إبراز أهم القضايا المطروحة في كتب المبيض، ومناقشة بعضها. وبيان سبب تأليف كل كتاب ، ومنهجه فيه ، ثم أهميته في مسار حركة جمع الأدب الفلسطيني ودراسته ، ونلاحظ أن المبيض قد عرض أفكاره في

مداخل كتبه ، لهذا سنركز دراستنا على هذه المداخل ، وكذلك ما أثاره من قضايا في متن كتبه، نستعرض كل كتاب على حده.

ونظراً لعدم وجود دراسات سابقة في مصادر الأدب الشعبي في فلسطين ، وافتقار مكتبتنا في قطاع غزة ، لمثل هذه الدراسة في الأدب الشعبي العربي، فإني عانيت في البحث عن دراسات أخرى أستأنس بها ، ومع ذلك أرجو أن يكون هذا البحث قد حقق هدفه ولو جزئياً....

قنويه:

نشير إلى سليم المبيض : المؤلف ، الكاتب ، المبيض.
النصوص المستلّة من كتب المبيض نضع رقم صفحتها مباشرة مع النص المستل
وليس في الهوامش.

والله أعلم
بما فيه الخير
والهدى

بداية الاهتمام بالفلكلور الفلسطيني

1- دراسات استشرافية:

ليس من الصعب على أي باحث أن يعي أسباب اندفاع كثير من الباحثين الأجانب إلى دراسة المجتمع الشرقي بعاداته وتقاليدته . وإذا خصصنا البحث عن فلسطين ، لما لها من قدسية لدى الأديان الثلاثة ، فإننا نجد أنها نالت قسطاً وافراً من هذه الدراسات المبكرة في القرنين التاسع عشر وبدايات القرن العشرين إذ غلب على كتابها التحيز وافتقار الموضوعية فكان يتودهم الطمع في طمس هوية هذا الشعب العربي الفلسطيني⁽³⁾ أو التشكيك فيها لصالح أطراف أجنبية لها أطماع استيطانية في بلادنا.

ومن هؤلاء ، الباحثان الصهيونيان (كوندو وكشنر) في الربع الأخير من القرن التاسع عشر ، ثم بعثات (فلنדרز بيري) و(ستارك) ، وكذلك لجنة صندوق اكتشاف فلسطين⁽⁴⁾ ، ومنهم أيضاً (جورج آدم سميث) الذي اندفع بتأثير التراث اليهودي ، فأعد كتاباً بعنوان (الجغرافية التاريخية للأرض المقدسة) ، طبع في لندن عام 1968م ، وقد اجتهد العديد من هؤلاء المستشرقين في إخفاء الحقائق العربية الفلسطينية وطمسها معتمدين على معلومات استخلصوها من الحفريات الأثرية مثل (ميشيل ناؤو ، ويشوب بوكوك ، وبوركهارت) ، وما كتبه (هيل) عام 1885م عن عادات وتقاليد البدو في فلسطين⁽⁵⁾ . كما رأس الباحث (غوستاف ميرمان والمان) المعهد الألماني الإنجليزي لاستكشاف آثار الأراضي المقدسة في فلسطين فيما بين عامي 1902-1926 ، حيث أعد كتاباً بعنوان (ديوان فلسطيني) "Palestiniswer Diwan" ضم معظم أنواع الغناء الشعبي الفلسطيني ، كتبها بلغة عربية عامية بالحروف الألمانية ، كما أعد كتاباً عن العادات والتقاليد الفلسطينية بعنوان (خصائص فلسطينية) عام 1932 ، وكتاباً ثالثاً عن (سلات فلسطين) كما كتب تومسين (الألب الفلسطيني) في خمسة مجلدات.⁽⁶⁾

وضع الباحث (أنتي أرني) عام 1910 كتاباً بعنوان (أنماط الحكاية الخرافية ، وأنواع الحكايات الشعبية) طبعه في (هلسنكي) ، ويتكون هذا الكتاب من عدة مجلدات ضمنها جزيئات من الحكايات الفينيقية لتراثنا الذي حملته الأجداد العرب الفينيقيون من البحارة الشولم ، وطافوا به منذ الألف الثالثة قبل الميلاد.⁽⁷⁾

وأسهم أيضاً الباحثان (جريس كروفون) ، (لويسا بالدنسبرج) بكتاب بعنوان (شجرة الأرز إلى حشيشة الزوفا) ولم تنس لويسا أن تقارن ما جمعت من معلومات من فلسطين بما ورد في الكتاب المقدس (العهد القديم)⁽⁸⁾ ، ولم يقتصر هذا الربط بين ما يدور في فلسطين من عادات وتقاليد بالتوراة على هذين الباحثين فقط . بل فعل (جيمس فريزر) الذي قام بتحليل النصوص العقديّة وتم ربطها بالتوراة في كتابه (الفلكلور في العهد القديم) الذي قامت بترجمته الباحثة الرائدة الدكتورة نبيلة إبراهيم عام 1972.

ومن أهم الباحثين المستشرقين الذين قدموا إلى فلسطين الدكتورة (هيلما كرانكست) التي اتخذت من قرية (أرطاس) الفلسطينية حقلاً لدراساتها ، وذلك بمشورة أصدقائها ، وأقامت فيها ما بين سنتي 1925-1931، وكانت تبحث وتتعلم وتسجل في بطاقات موثقة علاقتها بالسكان⁽⁹⁾، وكان هدف الباحثة في دراستها لحالات الزواج والطفولة والميلاد أن تدحض مزاعم الباحثين الذين ربطوا بين التراث الشعبي الفلسطيني، وبين التراث اليهودي كما جاء في العهد القديم⁽¹⁰⁾ وقد أثبتت الباحثة أن الشعب الفلسطيني هو الأصل في هذه الأرض قبل أن يقد إليها اليهود الغزاة.

وقد ركزت الباحثة دراستها حول خمسة أجيال من الشعب الفلسطيني ، وكانت محاور دراستها حول المعتقدات ، والتقاليد ، والعادات ، والأدب الشعبي ، ذلك أن حياة شعب من الشعوب من وجهة نظرها هي كل لا يتجزأ ، وتعد مؤلفات هذه الباحثة ، شبه ما يكون بالأرشيف العلمي المنظم الذي سجل كل ما يتصل بالشعب الفلسطيني⁽¹¹⁾.

وقد تمخضت سنوات إقامتها في (أرطاس) عن تأليف الكتب التالية :

- 1- الميلاد والطفولة عند العرب دراسة في قرية إسلامية فلسطينية ، ويقع في 289 صفحة، وقد طبع بالإنجليزية في هلسنكي 1947.
- 2- معضلات الأطفال عند العرب ، ويقع في 336 صفحة ، وقد طبع في هلسنكي سنة 1950
- 3- تقاليد الزواج في قرية فلسطينية ، في جزأين ، يشتملان على 566 صفحة ، طبع في هلسنكي ، الجزء الأول عام 1931، والثاني 1935.
- 4- طقوس الوفاء والتشيع الشرعي ، دراسة للتقاليد في قرية أردنية (12) وقد طبع في هلسنكي عام 1965.

ونلاحظ أن هذه الباحثة درست الإنسان الفلسطيني ، بعاداته ، وتقاليده ، وحكاياته منذ طفولته وحتى وفاته وقد ذكرت الدكتورة نبيلة إبراهيم في كتابها (الدراسات الشعبية بين النظرية والتطبيق) أنها قد زارت الباحثة هيلما في منزلها عام 1967 ، ووجدتها في السبعين من عمرها ، وقد رحبت بها وأطلعتها على بطاقات لا حصر لعدددها ، فقد دونت عليها مادة هائلة في شتى جوانب حياة الشعب الفلسطيني ، كما أهدتها بعضاً من أبحاثها ، وذكرت الدكتورة نبيلة أن الباحثة هيلما قد دونت بطاقتها باللغة العربية التي تعلمتها أثناء إقامتها في فلسطين⁽¹⁴⁾.

2-دراسات لباحثين في فلسطين:

من أهم الباحثين العرب الذين بدأوا في دراسة الفلكلور ، الطبيب الفلسطيني توفيق كنعان ، فقد أدرك محاولات اليهود وباحثيهم لسرقة هذا التراث . "ويعد توفيق كنعان (1888-1964) أول مواطن فلسطيني رائد في هذا الميدان ، وهو طبيب فلسطيني من أبناء القدس" (15).

وتعود بدايات الاهتمام بالفلكلور الشعبي الفلسطيني عند توفيق كنعان ، عندما عمل طبيباً في ألمانيا قبل الحرب العالمية الأولى ، وانتقل إلى فلسطين أثناء الحرب ، وكان في ذهنه دراسة الفلكلور ، وهذا بلا شك تأثر واضح بالثقافة الألمانية المهمة بهذا المجال ، وخاصة أنه تعلم في مدرسة الأيتام السورية (شنلر) في القدس ، وهي تابعة للمدرسة التبشيرية ، وبعد حصوله على شهادة الطب عام 1905م في الجامعة الأمريكية في بيروت ، عمل مساعداً لطبيب ألماني في مستشفى الشماسة الألماني . ثم عمل رئيساً لدائرة الملايا مما جعله على اتصال مباشر مع القرويين ، وهذا دفعه للاهتمام بالخرافات والفلكلور في السنوات المبكرة من حياته . فكان يشاهد الخرافة والطب الشعبي ، وخاصة بين الفلاحين الفقراء ، وكان يسأل ويكتب عن مشاهداته ، فأصدر كتابه الأول (المعتقدات والطب الشعبي) في هامبورغ عام 1945م . عمل أثناء الحرب العالمية الأولى طبيباً في الجيش التركي الألماني ، ورئيساً للمختبرات في مدن وقرى عديدة في فلسطين ، تقول ابنته : "لقد كانت سنوات الحرب الأكثر إنتاجاً في حياته ، لقد كان عضواً ولعدة سنوات في الجمعية الشرقية الفلسطينية ، وكان يكتب بانتظام في مجلتها ، وكان د. كنعان مرجعاً للباحثين في المعتقدات الشعبية . وبعد نكبة 1948 فقد د. توفيق أملاكه ومكتبته التي كانت تحتوي على ثلاث مخطوطات للمكتب في المأثورات الشعبية الفلسطينية " (16) ومن الكتب التي صدرت له :

- المزارات والأولياء المسلمون في فلسطين (باللغة الإنجليزية).
- البيت العربي الفلسطيني (دراسة في فن العمارة).

وكان ينشر أبحاثه باللغات الإنجليزية والفرنسية و الألمانية في مجلة (المجتمع الفلسطيني) (17) منذ مطلع القرن العشرين حتى الثلاثينيات منه :

وقد ركز توفيق كنعان أبحاثه حول المعتقدات والعادات لدى الشعب الفلسطيني ، فمن أبحاثه : بحث حول (طاسة الرجفة) (18) في العدد الثالث من المجلة ، وبحث حول (المعتقدات الفلسطينية الحديثة وممارسات الشعب الفلسطيني التي ترتبط بدينه) في العدد الرابع عشر من المجلة نفسها .

يقول الباحث نمر سرحان في دراسته لمنهج توفيق كنعان في أبحاثه: "هي دراسة وصفية ، وهو يعتمد على زاوية معينة ، بحيث يورد كل التفاصيل المتعلقة بها ، والتي يبدو أنه جمع الكثير منها بطريق الاستجواب الشخصي ، أما الجزء الآخر فقد اعتمد فيه على العمل المكتبي"⁽¹⁹⁾. ويبدو أن توفيق كنعان رجع إلى كثير من المراجع الأجنبية ، التي حاول أن يصحح ما جاء فيها على ضوء معرفته الحقيقية بالحياة الشعبية الفلسطينية .

ويوضح نمر سرحان منهج كنعان بقوله : "عندما يتعرض للربط بين المادة التي يجمعها وبين مثيلاتها ، سواء أكان في بيانات أخرى ، أم البيئة الفلسطينية القديمة"⁽²⁰⁾ ومعرفة كنعان عدة لغات حية جعلته يوازن بين المجتمعات الإنسانية على اختلاف الظروف والبيئة ، ونجد ذلك عندما يحاول المقارنة بين الفلكلور وبين ما جاء في القرآن الكريم والعهد القديم . وقد استخدم: "المنهج الوظيفي بين المادة الشعبية وبين وظيفتها في الحياة"⁽²¹⁾ ، وهذا يعني محاولة إدراك المادة في توجيه أفكار الناس وتكوين مناهجهم الحضارية . لا شك أن توفيق كان يكتب عن تراث يدرك أنه مهدد بأخطار التذويب والطمس ، ولذلك يجتهد في الربط بين المادة الفلكلورية التي جمعها وبين الأرض والإنسان ، كأنه يريد أن يقول: إن أهل فلسطين هم أصحاب هذا الإنتاج الإبداعي المرتبط بهذه البيئة والأرض.

2- تعد السيدة سميحة خليل⁽²²⁾ ، رائدة في هذا المجال ، بالإضافة إلى أنها رئيس ومؤسس جمعية إنعاش الأسرة ، وابتثق عنها (لجنة الأبحاث الاجتماعية والتراث الشعبي الفلسطيني) وكذلك أصدرت (مجلة التراث والمجتمع)⁽²³⁾، عام 1974 ، وقد نجحت هذه الجمعية برئاسة السيدة سميحة خليل ، في جمع الكثير من النصوص الشعبية وتحضيرها للدراسة .

3- ومن ضمن الجهود التي بذلت لحماية التراث الفلسطيني من الطمس والسرقة ، ما قام به مركز الأبحاث الفلسطيني التابع لـ (م.ت.ف) من محاولات لتجميع هذا التراث ودراسته في حدود إمكاناته ، وينقسم عمله في هذا المجال إلى محورين :

أ- الاهتمام بجمع التراث الفلسطيني مباشرة من كبار السن وخاصة من الفلسطينيين الذين لا زالوا يعيشون داخل فلسطين ، لأن تراثهم لم يختلط بتراث آخر .

ب- إسهام المركز في دعم الأبحاث القيمة ، التي صدرت عن كتاب كبار في العالم العربي ، عن فلسطين وتراثها وقضاياها ، وقد منح المركز الباحث نمر سرحان بعثة سفر إلى فنلندة لجمع ما كتبه الباحثة (هيلما جرانكفست) وقد نجح في تصوير وجمع عشرات الآلاف من الصفحات في هذا المجال⁽²⁴⁾.

4- أما على الخليلي من نابلس فهو باحث نشط في مجال الأدب الشعبي ، وقد أصدر مجموعة من الدراسات التحليلية المودلجة أهمها :

- البطل الفلسطيني في الحكايات الشعبية عام 1978 ، القدس .
 - التراث الفلسطيني والطبقات عام 1976 ، القدس .
 - الغول ، مدخل الخرافة العربية ، القدس .
 - أغاني العمل والعمال في فلسطين ، القدس .
 - أغاني الأطفال في فلسطين ، القدس .
- تعتمد كتب الخليلي على البحث التحليلي لموضوعات التراث بعد جمعها ، فهي كتب بحثية تحليلية .
- 5- الباحث الدكتور عبد اللطيف البرغوثي (من رام الله) حصل على درجة الدكتوراه في لندن عام 1963 برسالة عن الأغاني الشعبية في فلسطين الأردن ومن أهم مؤلفاته :
- الأغاني العربية الشعبية في فلسطين والأردن ، جامعة بير زيت 1979 .
 - ديوان العتابا الفلسطيني القدس 1986 .
 - قصص شعبية من أوطاس (باللغتين العربية والإنجليزية) عام 1987 .
 - حكاية جان من بني زيد القدس 1979 .
 - ديوان الأزجال الفلسطيني ، راجح السلفيتي عام 1994 .
 - ديوان الانتفاضة الشعبي ، جامعة بير زيت رام الله 1997 .
 - ديوان الدلعونا الفلسطيني القدس 1990
 - جزآن من القاموس الشعبي الفلسطيني عام 1993 . (26)
- 6- الباحث سليم عرفات المبيض (من غزة) وهو يعتمد في بحثه على الدراسة الانثروبولوجية، والتاريخية للأدب الشعبي.
- وهناك العديد من الباحثين⁽²⁵⁾، في مجال الفلكلور مثل: نمر سرحان في (موسوعة الفلكلور الفلسطيني ، ثلاثة أجزاء)، وعمر الساريسي من القدس ، وفايز علي الغول من القدس، وعلي الخطيب، والباحث وليد ربيع من رام الله، وتوفيق زياد (الناصره)، نبيل علقم ، (ترمسعيا)، شريف كناعنة (جامعة بير زيت)، دياب عيوش (بيت لحم)، منعم حداد (الطيبة)، أحمد عمر شاهين (غزة)، وقد تنبعت بعض الجامعات الفلسطينية إلى أهمية هذا المجال ، فأفردت له مقررات خاصة مثل : جامعة النجاح في نابلس، وبير زيت في رام الله ، وجامعة الأزهر بغزة.
- سنقوم في بحثنا هذا على دراسة الكتب الخاصة بالأدب الشعبي الأربعة التي أعدها سليم المبيض بما تحتويه من أفكار وموضوعات وما قامت عليه من مناهج ، ونخرج من بحثنا كتب المبيض الأخرى لأنها كتب تاريخية لا علاقة لها بالأدب الشعبي. ثم نفرد في نهاية البحث تقييماً شاملاً للملاحظات حول هذه الكتب الأربعة ، حتى لا يتكرر قولنا في كل كتاب ، خاصة أن المؤلف يكرر كثيراً من أفكاره في ثنايا كتبه.

سليم عرفات المبيض

وجهوده في جمع الأدب الشعبي ودراسته (27)

مولده ونشأته:

ولد في مدينة غزة، حي الشجاعية، الجديدة، عام 1943، حصل في مدرسة يافا على الثانوية العامة عام 1960، وحصل على ليسانس الجغرافية في كلية الآداب، جامعة عين شمس بالقاهرة عام 1964، ثم دبلوم الدراسات العليا عام 1966، ولم يستطع السفر بعد حرب 1967، عين مدرساً في مدرسة يافا الثانوية عام 1964، وهو أول طالب يتخرج في المدرسة ثم يعمل فيها، ثم عين مديراً لمدرسة الكرمل الثانوية، فوجهاً لمادة الجغرافية في مدارس قطاع غزة. عمل مع قدوم السلطة الوطنية الفلسطينية عام 1994 الأمين العام لهيئة دار الكتب الوطنية الفلسطينية، وهو من أهم مؤسسيها، بل صاحب فكرتها، له مشروع ثقافي واسع في جمع الأدب الشعبي الفلسطيني ودراسته. عضو مؤسس في المجلس الأعلى للفلكلوريين الفلسطينيين، كما أسس جمعية (جذور) للتراث والفنون الشعبية عام 1981. بدأ في جمع الأدب الشعبي عام 1974، وقد تعرض لكثير من المصاعبات والاستدعاءات من ضابط ركن التعليم في غزة في فترة الاحتلال الإسرائيلي، وصدر له كتاب (الجغرافية الفلكلورية) في مصر عام 1986، فاستدعته المخابرات الإسرائيلية، واعتبرت هذا الكتاب عملية تسخين ولو على نار شمعة، وقالوا له (نحن نفهم ما وراء الكلمة)، ثم منع من دخول إسرائيل حتى اليوم.

مؤلفاته:

- 1- الجغرافية الفلكلورية للأمثال الشعبية الفلسطينية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1986.
- 2- ملامح الشخصية الفلسطينية في أمثالها الشعبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1990.
- 3- الحصيد في التراث الشعبي، سلسلة للمكتبة الثقافية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1991.
- 4- الإبل في التراث الشعبي الفلسطيني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1992.
- 5- غزة وقطاعها (دراسة في خلود المكان وحضارة السكان) الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1987.

- 6- النقود العربية الفلسطينية وسكنها المدنية الأجنبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة، 1989.
- 7- البنائيات الأثرية الإسلامية في غزة وقطاعها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1995.
- 8- النصرانية وأثارها في غزة وما حولها، مكتبة اليازجي، غزة، 1998.
- 9- النقود الفلسطينية 1927 - 1946 ، سلطة النقد الفلسطينية، غزة 1999.
- 11- ترجمة حياة القديس (بيرفيريوس) ، أسقف غزة (395-420م) لشماسة مرقس، ترجمة وهبة الله صروف، تحقيق ودراسة سليم المبيض، فلسطين، غزة ، 2004م .

1- كتاب (الجغرافية الفلكورية للأمثال الشعبية الفلسطينية)

يقع الكتاب في حوالي مئتين وتسعين صفحة من القطع العادي. يبدأ الكتاب بلوحة تراثية تمثل حياة العربي في العصر الوسيط ، ويبدو لي من خلال التوقيع المرسوم أسفل اللوحة أنها للفنانة المصرية التشكيلية عفاف توفيق ، وهي القائمة على مراجعة الكتاب ، والإشراف الفني عليه . يحتوي الكتاب على مقدمة ، و مدخل للدراسة ، ثم سبعة أبواب ، يدرس في كل باب أمثاله الشعبية الخاصة به ، فالخاتمة ، وينتهي المؤلف كتابه بقائمة للمصطلحات والتعابير الشعبية التي وردت في الكتاب.

المقدمة وتحتوي على الموضوعات التالية :

مكان الدراسة :

يعتمد المؤلف إلى تحديد المنطقة الجغرافية لبحثه ، وهي إقليم غزة ، محاولاً الفصل بين (قطاع غزة) بمفهومه العسكري الذي نشأ بعد نكبة 48 ، وفق اتفاقية رودس عام 1949 بين الدول العربية وإسرائيل ، وهو خط هدنة عسكرية. وبين إقليم غزة الطبيعي، وقد حدده المؤلف بخط مطر (300ملم) بحيث يمتد حتى شمالي المجدل، مستمراً شرقاً حتى شمالي بئر السبع بنحو خمسة عشر كيلو متراً ، حتى رفح جنوباً بخط مطر (200ملم) ليكون قطاع غزة الحالي جزءاً من إقليم غزة الجغرافي. ص3. تعود أهمية المكان لدى الباحث إلى أن غزة كانت أول بوابة للتعريب دخل فيها الإسلام ، ومنها دخل الإسلام إلى أفريقيا ، ولأنه مكان يجمع بين أطراف الصحراء ، وبين مداخل الأماكن الحضرية في فلسطين ، ومعروف جغرافياً أن إقليم غزة هو امتداد جغرافي لصحراء النقب ، وطريق تجاري قديم نحو بلاد الشام والروم ، ولهذا فهو مكان تلتقي فيه الشعوب والحضارات عبر التاريخ ، فدراسة تراثه الشعبي أمر نه قيمته لأهميته الحضارية.

سبب الدراسة:

يقول المبيض عن سبب هذه الدراسة "وإدراكاً منا بأن دراسة التراث هو بمثابة بحث وواجب وطني، وإذكاءً للهوية العربية الفلسطينية، وفي وقت قد حرم علينا حملها، رأينا أن نسهم بجزء ضئيل في توضيح سمة من سمات الهوية العربية الفلسطينية" ص5، وكان المثل الشعبي - في رأيه - من أهم روافد التراث الفياضة، لسهولة ودقته وشيوعه، وتداوله على كل لسان، "وهو يحمل التجربة التي لخص بها الفلسطيني كل تفاعلاته مع عناصر بيئته الطبيعية والاجتماعية، والاقتصادية، وحتى النفسية والسلوكية. وإن كان الفلاسفة يكررون أن المثل الشعبي هو أيضاً جغرافية شعب .. زرع وحصد.. وعبد الطرقات، وأقام المدن والقرى، ووضع المحراث والفلك" ص8، لتطل بهذه الدراسة على ملامح شعبنا الأصيلة منذ القدم، يؤكد ذلك أحمد رشدي صالح بقوله " بل هو تسجيل فني لتأثير المادة الطبيعية في خالقه وتأثيرها به، أو قل إنه الحصيصة الفنية للجدل بين حياة الإنسان وعمله وبين الطبيعة" (28) ..

يقول المؤلف عن تقصير المفكرين والمتقنين في القيام بدورهم تجاه التراث الشعبي الفلسطيني: "إذا ما قمنا بدراسة شاملة للتراث الشعبي الفلسطيني، الذي لم يأخذ دوره اللائق به لآن، على ما يتميز به من ثراء في كنه ونوعه وتعدد، فلم يحظ منذ بداية القرن العشرين وحتى الآن إلا بدراسات وأبحاث بسيطة لا تتعدى المقالات في بعض المجلات العلمية" ص9، والحقيقة قد يكون هذا الحكم صادقاً قبل ثمانينيات القرن العشرين، لكن بعد ذلك بدأت الدراسات الجادة تظهر على يد مجموعة من الباحثين، وقد أوضحنا ذلك في مقدمة هذا البحث.

مفهوم البيئة الجغرافية للمثل الشعبي:

يحاول المؤلف أن يؤكد أن عناصر البيئة الجغرافية هي التي تفرز أهم عناصر التراث الشعبي، فقد استطاع الإنسان الفلسطيني أن ينسج عبر التاريخ كلمته من خلال صراعه وتجاربه مع وسطه البيئي الذي يعيش في كنفه، يقول المؤلف: "حتمية العناصر الجغرافية مع نسيج التراث الشعبي بجميع مجالاته، ولاتغالي في ذلك لو قلنا إن الإبداع الثقافي المادي هو ردة فعل (29) لظروف البيئة الجغرافية المحيطة به" ص4 من هنا كانت الجغرافية، أي جغرافية المثل الشعبي الثابتة والواقعية، هي في حد ذاتها التاريخ (30) وصناعة التراث، فالتراث الشعبي يدل على حسن تفاعل الفلسطيني مع بيئته وإدراكه لملاحها حيث أجاد الربط بين عناصرها بشكل يلفت الانتباه... فقد صنف التربة بأنواعها، ونباتها، ورصد الرياح باتجاهاتها، والسماء بغيومها وأمطارها وأجرامها، والبحر بأنوائه، والطيور ورحلاتها، وأتقن الربط بينها جميعاً، واستطاع أن يدون ذلك بمثله الشعبي.

لأن كل مثل حكاية ، والحكاية قد تسرد تاريخ شعب سواء التاريخي أو الاجتماعي ، وقد بدا ذلك واضحاً في منهج المدرسة الفنلندية في التراث الشعبي الذي عانى كما يعاني الشعب الفلسطيني. اختار المبيض من مجمل الأمثال الشعبية الفلسطينية ما يمتاز بالسمة الجغرافية - تمثيلاً مع منهجه- التي اخترناها في عقله مئات السنين قاموساً يرشده عند الحاجة ، وهي دلالة الصمود على هذه الأرض عبر آلاف السنين.

جمع المادة وشرائح الدراسة:

استطاع الكاتب أن يجمع في دراسته شرائح متنوعة حتى يعطي عمومية الحكم وحجمه، وقد تعددت موضوعات المثل الشعبي الفلسطيني وأنماطه ، وتنوعت في مسكنه وملبسه ومأكله وما يربط بينها من تراث فكري وثقافي "قابن البادية أصبحت له سمات تراثية تركزت في جانب غير التي صاغها ابن الأرض الزراعية السهلة ، واختلفت جميعاً مع ابن البيسة الجبلية وكذا البحرية"ص5. هذا الاختلاف خلق عناصر التبادل الاقتصادي بما يزيد عن حاجته داخل حدود بيناتهم المحلية أولاً ثم خارج الأقاليم الطبيعية المجاورة ، وهذا بدوره أدى إلى احتكاك وتأثر ، حاول الكاتب إظهاره في جوانب كثيرة من الدراسة . إذن جمع المبيض تراث البدوي والفلاح وأهل الجبل، وأهل البحر ، كلهم في بوتقة فلسطينية واحدة ، بدافع أن كلاً يؤثر في الآخر ويتأثر . دفع هذا المؤلف إلى البحث عن هؤلاء جميعاً كل في أماكن إقامته ، يقول المبيض في ذلك "بدأت في حصاد الأمثال الشعبية ، من كل صوب وحذب على اتساع مساحة غزة من منحنى وقرأها " ص5، ويقول في مكان آخر من مقدمة الكتاب "إن أدعى إتمام جمعه عبر سنين البحث المضنية والممتعة من أقصى جنوب رفح حتى شمالي غزة وقرأها مفتشاً في حقولها للجلوس مع فلاحينا ومتجولاً في أزقة قرأها ومدنها للتحدث مع شيوخنا في دواوينهم ومستغلاً كل فرصة للتكلم مع أفراد عشائرتنا وقبائلنا من عرب الترابين والتيها والسواركة والحنجرة ، متجولاً على طول شواطئنا لاصطياد واغتنام فترة راحة لصياد لاستمتع بسماع أهاريجه وأمثاله"ص5.

ما يلفت انتباهي هنا هو شخصية⁽³¹⁾ جامع التراث ، فإذا كان إنساناً لا يجد متعة في حركته وتنقلاته ولقاءاته مع الأشخاص المعنيين ، فإن حبه للمادة يكون ضعيفاً ، فلا يستخرج منه كل ما يحتويه ، هنا نلتقط جملة الكاتب (استمتع بها) لنعطيهام ملامح شخصية الباحث في حبه لعمله ولدوره في جمع التراث وتحليله. وقد يكون هذا رداً على بعض الساخرين من أهمية التراث الفلسطيني ، وقد واجه الدكتور عبد اللطيف البرغوثي القضية نفسها ، عندما عاد من لندن ، يحمل درجة الدكتوراة عام 1963 في الأغاني الشعبية ، لاحظ سخريه أهل قريته ، بل وأقاربه من هذه الدرجة التي يحملها⁽³²⁾، واعتقد أن المبيض واجه الموقف نفسه . فقد سمعت مثل هذا الموقف نفسه - حديثاً - من أحد الذين عاصروه وهو يجتهد لجمع مادته ،

هذا ما يواجهه الكثير من الباحثين في الوطن العربي ، لعدم دراية بعض المتقنين العرب بأهمية التراث الشعبي في مواجهة الهجمة الاستعمارية الشرسة ، وقد التفت د. عبد الحميد يونس في كتابه (دفاع عن الفلكلور)⁽³³⁾ إلى مثل هذه المشكلات التي تواجه دارسي التراث الشعبي و قد واجه المبيض شيئاً من ذلك وبخاصة أنه كان يعمل مدرساً ثم موجهاً لمادة الجغرافية في مدارس قطاع غزة الحكومية ، يرد المبيض على هؤلاء بقوله " إن المفهوم الجغرافي للتراث ومنه المثل الشعبي مستمد من ثوابت جغرافية طبيعية شامخة وراسخة ، أشد تجزيراً وأعماق أثراً ... فالشعب هو الذي يخط بدوره أحداثه بيديه ومنجله ومحراثه وإبداعاته الفكرية والثقافية غير عابى ولا ملتفت لمن يكتب - من الحكام ومؤرخيهم - لأنه هو الكاتب والمؤرخ والشاعر والقاضي بصدق وأمانة" ص6، إنه بذلك يرد على الذين ينظرون إلى التراث بأنه حطام وبقايا الرواسب⁽³⁴⁾ التاريخية والشعبية المتخلفة.

منهجه في التحليل:

اعتمد المؤلف في ترتيب الأمثال الشعبية على تتابعها الموسمي مبتدئاً بموسم الزراعة ، وهو موسم سقوط الأمطار مع نهاية شهر أيلول (سبتمبر) مع (مطرة الصليب) حتى موسم القبيض المنتهي مع نهاية آب (أغسطس) مع ما يلزم هذه الشهور من مواسم زراعية ، ثم موسم الحصاد وعصر الزيتون ، كذلك أفرد للظواهر الطبيعية ، الجوية والأرضية ، فصولاً خاصة لمكانتها الثابتة والمتجدرة في وجدان الشعب ص7 ، فقد سجل كل هذه الظواهر بأدبه الشعبي ، خاصة المثل ، ليصبح تراثاً شعبياً ، بل تقوياً سنوياً خالداً ، ومرجعاً للخلف . وفي ذلك يحاول المؤلف الجمع بين عنصري الأصالة والمعاصرة ، والربط بينهما من خلال المثل الشعبي ، وهو مؤمن بأن المعاصرة هي امتداد للتراث الأصيل ، وقد تعامل المؤلف مع التراث بموضوعية علمية من الزاوية الجغرافية. أما عن منهجه في تحليل المثل الشعبي فيقول "لم أحاول تفسير المثل تفسيراً لغوياً ، ولكن تعرضت لدراسة جغرافية⁽³⁵⁾ عملية ، حاولت الربط بين المثل الشعبي القائم على مشاهدة وتجارب الأجداد ليخرج المثل الشعبي الجغرافي الفلسطيني ويثبت قدرته على الملاحظة والتحليل والربط بين الظواهر المناخية والنباتية وحتى الحيوانية، ورصد مفاهيم المثل الشعبي ومعلوماته مقارنة بالأجهزة العلمية الحديثة لتوكيد صدقها وموضوعيتها" ص8.

مدخل الكتاب:

يحاول المبيض في مدخل الكتاب أن يبرهن على أن المنطقة محل دراسة وهي منطقة تمازج الحضارات عبر التاريخ، محاولاً ربط الإنسان الفلسطيني بعمقه الاستراتيجي والحضاري ، العربي والإسلامي يقول في ذلك " إن الملامح الواضحة التي أسبغتها البيئة على

الشخصية الفلسطينية ، فأكسبتها ذاتية متميزة استطاع أن يحافظ عليها عبر السنين الطويلة بفضل قدرته على التأثر والتأثير لكل الحضارات الثليدة التي أحاطته من الشمال والجنوب والشرق ، وتلك القادمة من الغرب....، فأخذ منها وأعطاهها"ص11 .

ثم تطرق إلى تأثر الفلسطيني أو عدمه بالتقويم الهجري ، فاستعرض دراية العرب بالتقويم القمري ، ويقول المبيض بقدسية التاريخ الهجري لأنه وارد من عند الله ص14 ، لما يتصف من دقة وضبط ، وهذا كلام يحتاج إلى نقاش :

أولاً : أن التاريخ القمري موجود عند العرب وعند الأمم الأخرى قبل مجيء الإسلام ، وهذا وارد في الكتاب نفسه ص11 ، وقد غير المسلمون أسماء بعض الأشهر القمرية لتصبح مرتبطة بالدين الجديد .

ثانياً: أن التقويم القمري أقل انضباطاً ودقة من التقويم الشمسي ، يقول فوزي العنتيل نقلاً عن جيمس هغري في كتابه (انتصار الحضارة) . "غير أن المصريين القدماء قد ابتدعوا تقويمياً جديداً ، في القرن الثالث والأربعين ق.م وتركوا النظام القمري لأنه لم يكن دقيقاً" (36) موضحاً في السطور اللاحقة أنه التقويم الشمسي ، بسبب صعوبة رؤية القمر في كثير من ليالي الشهر ، والاختلاف حول عمر يزوجه ، ونحن نلاحظ ذلك في العصر الحديث ، حول اختلاف أقطار الوطن العربي المتجاورة في بداية شهر رمضان ونهايته ، رغم وجود الأجهزة الحديثة ، بينما الملاحظ أن التقويم الشمسي لا يخطئ فيه الإنسان تحديد الوقت .

ثالثاً: يعتمد الكاتب في طرح فكرة قدسية التقويم القمري على الآيات الكريمة فيقول (إنه ما من آية ورد فيها ذكر الليل والنهار إلا وقد سبق ذكر الليل فيها عن النهار ، مما يثبت حساب الشهر بالقمر) ص13 ، ولا أعرف ما علاقة الآيات الكريمة بحساب الشهر ، لكن أود أن أنبه أنه عندما يذكر القرآن الكريم آيات للحسبان والتقويم نرى الشمس متقدمة على القمر في قوله تعالى (الشمس والقمر بحسبان) الرحمن 5 ولأن الشمس أكثر وضوحاً في الرؤية فقد قدمها على القمر ، أما تحليل الآية التي اعتمد عليها المبيض فقد قدم الله سبحانه وتعالى الليل لأن المسلم يتخذ من الليل وسيلة للتهدج والتعبد كما في قوله تعالى (قم الليل إلا قليلاً) المزمّل 2 ، وقوله أيضاً (ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلاً طويلاً) الإنسان 26 ، وقوله تعالى أيضاً (إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك والله يقدر الليل والنهار) المزمّل 20.

والقرآن الكريم كتاب روحاني بالدرجة الأولى ، إلى كونه يحتوي على معلومات فلكية عرفها العرب (37).

رابعاً: أن المؤلف في كتابه نفسه لم يأت بمثل شعبي واحد من تلك التي يعتمد عليها الفلاح الفلسطيني في التعامل مع البيئة الجغرافية المحيطة به فيها أشهر هجرية ، ومن الملاحظ أن

المبيض نفسه يستخدم أسماء الشهور السريانية واليونانية ، والفرعونية ، في تحديده مواعيد الزراعة والأنواء والمواسم ، في العموم قليلة هي الأمثال الشعبية التي تذكر فيها الأشهر الهجرية ، كما نلاحظ أن كبار التجار في العالم الإسلامي لا يستخدمون الأشهر الهجرية في معاملاتهم التجارية .

ينتقل المؤلف في المدخل إلى التقسيمات الفلسطينية المحلية للمواسم الزراعية باختلاف الظروف البيئية ، ومدى انعكاس هذا التباين على تقسيماتهم للمواسم الزراعية ، مما أثرى الأدب الشعبي ، وقد ذكر الفرق بين فلاحي الجنوب والشمال في التقسيم حسب الظروف البيئية الجغرافية ، وهناك تقسيمات أخرى ذكرها المؤلف حسب قطف الفواكه والزيتون ، وكذلك تقسيمات لفصلي الصيف والشتاء .

محتوى الكتاب وفصوله:

يحتوي الكتاب على تسعة أبواب ، بعض الأبواب يلتزم فيها المؤلف بعنوان واحد مثل: باب (أمثال البحر) وباب (أمثال الأرض) وباب (أمثال موسم الصيف) وباب (أمثال المحل والخصب) والباب الخامس (أمثال موسم الحصاد) . أما باقي الأبواب فإنه يضع عناوين داخلية لكل فصل منها مثل: الباب الأول (أمثال فصل الخريف) فقد جاء فيه العناوين التالية : مطرة الصليب ، وموسم الزيتون ، والطيور ، والوسم ، والمحارث . ويقسم الباب الثالث (أمثال الشتاء) تحت العناوين التالية : بربرة ، وميلاده ، والكوانين ، والغطاس ، وخمسينية الشتاء ، والمستقرضات ، والدارون . ويقسم الباب الثالث (أمثال الربيع) على النحو التالي : الربيع ، وشهر الخميس ، والخمسان ، والصيد . أمثال الباب الرابع (أمثال الشتاء والصيف) إلى : أمثال الشتاء والصيف (دراسة مقارنة) والرياح ، والغيوم ، والبرق والرعد ، والتلج والأودية والآبار .

يحاول المؤلف في هذه الأبواب جميعها أن يستند على العميق الكنعاني⁽³⁸⁾ القديم والعربي الجديد ، ليربط بين سلوكيات الفلسطيني الحديث وأفكاره ، وبين الإنسان الفلسطيني القديم في تلك العصور ، وهذه محاولة جادة لمعرفة القيمة الوظيفية للمثل الشعبي ، والبحث عن الجذور التاريخية⁽³⁹⁾ للإنسان الفلسطيني على هذه الأرض بكل خصائصها ، ومثال ذلك: عندما يكتب المؤلف عن مطرة الصليب ، في المثل الشعبي القائل: (إن صليت خربت) ويعرفها للفلسطيني باسم النقطة ، لأنها لا تزيد عن بضعة ملليمترات ، وهي أمطار قد تضر ما جمعه القلاح في أواخر موسم الحصاد ، نرى الكاتب يشير في الهامش إلى التوحد العربي في المصطلح فيقول ص 21 : " يطلق المصريون نفس المعنى على أول نقطة تنزل من أول مطرة اسم (النقطة) وتكون عادة في 11 بؤونة⁽⁴⁰⁾ . تدفع هذه المطرة (النقطة) الفلاحين إلى إعادة تلييس بيوتهم بالطين الممزوج بالنبن " استمرارا لما فعله الإنسان العربي الكنعاني من أجدادنا في العصر (الكالكوليثي) عند بنائه لمنازله في الألف الرابعة قبل الميلاد" ص 23، بينما يقوم

بعض سكان البيوت المبنية من الحجر داخل المدينة بكس أسطح المنازل بعد المطرة وتنظيف الآبار الموجودة عادة في فناء المنزل ، حتى تمتلئ الآبار بمياه الأمطار واستخدامها في فصل الصيف ، ولا زالت هذه العادة موجودة حتى يومنا هذا في كثير من مدن وقرى الضفة الغربية، وقد رأيت ذلك بعيني في مدينة رام الله قبل عشرين عاماً .

يرجع المبيض هذه العادة إلى أجدادنا القدماء بقوله " وقد بدأت هذه العملية منذ القرن التاسع قبل الميلاد عندما حفر أجدادنا القدماء الصهاريج والآبار في فناء المنزل " ص23. وفي فصل (موسم الزيتون) يقول المؤلف في الاتجاه نفسه " أما بالنسبة لزيت الزيتون فما هو جدير بالتتويه أن أجدادنا العرب الكنعانيين هم أول من عصر الزيتون في منطقتنا وقد تم ذلك في فلسطين في الألف الثالثة قبل الميلاد لتعرفه منا جزيرة كريت في منتصف الألف الثالثة قبل الميلاد سنة 2500 ق.م لينتقل بعد ذلك شمالاً إلى سوريا سنة 1500 ق.م، ولتستورده مصر الفرعونية من بلادنا" ص31 وهذا كلام له أهميته في رصد تاريخ الحركة الاقتصادية الفلسطينية منذ فجر التاريخ.

يرصد الكاتب في باب (أمثال الشتاء) نسبة الأمطار في مدينة غزة من إحصائته الخاص ، محاولاً ربط ذلك بسلوك المزارع الفلسطيني القديم والحديث ، دون أن يرصد التغيرات المناخية التي حدثت في بلادنا فلسطين منذ العهد الكنعاني وحتى عصر الإنسان الفلسطيني الحديث ، وهل السلوك باق كما هو منذ الكنعانيين، أم طرأ عليه تغير بسبب التغيرات الجوية خلال خمسة آلاف عام ، أم أن الأجواء باقية كما هي؟ هذا تساؤل يحتاج إلى مناقشة ، لأن الجغرافية تؤثر على الفلكلور كما أكد المؤلف في كثير من صفحات الكتاب ، خاصة في المقدمة ، لكنني هنا أستدرك نفسي قليلاً، فقد عثرت في الكتاب على فقرة ترد للكاتب اعتباره في هذه الملاحظة ، فقد جاء قوله " فقد ذكرنا منذ آلاف السنين ووراء غموض اكتشاف سر المطر ، صنع أجدادنا آلهة عبدها وأسموها إله المطر والخصب " عليان بعل" وآلهة الرعد والمطر والنماء "حدد" إدراكاً منهم بأنها باعثة للحياة ، والحياة هي الحضارة ، لذا فقد عبدها علمهم يجدون ضالتهم في التماس ما ييغون من أمطار السماء ، فلا أنهار تجري فوق أراضيهم ، ولا عيون منهجسة حيث يريدون ، ولا أمطار نازلة متى يشاءون" ص163. نفهم من هذا النص أن الإنسان الذي سكن الأرض قبل آلاف السنين كان يعاني من نقص المياه كما نحن الآن ، واللافت للنظر في هذا النص أنه أيضاً كان يعاني من نقص في المياه الجارية والعيون المائية ، ولا أدري عن أي بلد جغرافي يتحدث النص بالتحديد ، هل عن جنوبي فلسطين ووسطها فقط أم عن مجمل بلادنا فلسطين والشام ؟ ، أما إذا كان غير ذلك فالأمر يحتاج إلى نقاش ، لأن معظم مدن فلسطين تقوم حول الآبار والعيون من بنى السبع حتى بيرزيت ، وعين الأسد ، وعين كارم .

يذكر المؤلف أهازيج⁽⁴¹⁾ تعكس خوف الإنسان الفلسطيني من عدم سقوط المطر ، أو قلة سقوطه ، فهم يغنون استغاثة بالله :ص207

يا رب جيب مطر يسقي جنابنا
من خوف ييجي غلا ترحل جبابنا
يا رب ييجي مطر ليلة بعد ليلة
من خوف ييجي غلا تتفرق العيلة

قد يكون الحال قديماً وحديثاً ، فهذه المنطقة امتداد لصحراء سيناء ، وهي قليلة الأمطار، لهذا جاء المثل الشعبي الذي يحفظه أهل جنوبي فلسطين (شمل يوم ولا نقبل سنة) يقول المؤلف حول هذه الظاهرة "واضطراب الأحوال المناخية في بلادنا ظاهرة امتدت منذ آلاف السنين، ولم يحدد عمرها بعد، اكتوى من نار قحطها وجفافها أجدادنا الأقدمون" ص 208، كما هو حالنا اليوم .

يحاول الكاتب أن يحلل الأمثال الشعبية الفلسطينية تحليلاً علمياً، فهو يمتلك القدرة على التحليل العلمي الجغرافي لهذه الأمثال ، وهذا تفسير مطلوب حتى يواكب بين رؤية الإنسان الفلسطيني للظواهر الطبيعية وطريقته في التفسير والتعامل من خلال خبراته التي في النهاية تجسد لها تحليلاً علمياً ، مثال ذلك عند تحليله المثل الشعبي القائل (إن أرعدت أبعدت ، وإن أبرقت أقربت) يقول المؤلف في تحليله العلمي لهذا المثل " على اعتبار أن الرعد يشتت الغيوم، فمن المعروف علمياً أنه عند بدء نشوء عاصفة الرعد تشتد سرعة التيارات الصاعدة - أكثر من 30 كيلو متر في الساعة - ولذلك لا يتسنى لنقط المطر من النزول وذلك للمقاومة العكسية التي تلقاها من الريح الشديدة الصاعدة ، والتي قد تحملها إلى أعلى فيزيد قطرها ويكبر حجمها ثم تتناثر إلى نقط صغيرة لكنه يحدث كلما تناثرت هذه النقط انفصلت الكهرباء الموجبة واستقرت على قطرات الماء ، فتأخذ التيارات الصاعدة الكهرباء السالبة معها إلى قمم السحاب ...الخ " ص161 ، أراد الكاتب من هذا كله التأكيد على أن ملاحظات الإنسان الفلسطيني منحنه دراية وخبرة صادقة مع طول الزمن ، توازي العلوم الجغرافية الحديثة في بعض جوانبها . وإذا كان ما جاء في كثير من الأمثال المرتبطة ببعض الظواهر الطبيعية يوافق الواقع ولا يتخالف مع الحقائق العلمية ، فإن بعض الأمثال الأخرى التي لا ترتبط في الغالب بالحقائق العلمية قد تخالف الواقع وقد ترسخ بعض القيم غير المعقولة . وقد لا تتوافق مع روح العصر أو مع التحليل العلمي السليم مثل (حط راسك بين الروس وقول يا قطاع الروس) وما شابه هذا المثل وهذه الأمثال ترسخ بعض القيم الفاسدة كالاتكالية وعدم المبالاة .

أنواء البحر وأسماءه:

يبحث المؤلف في العلاقة بين الإنسان الفلسطيني وبين البحر ، وما يطرأ عليه من تفسيرات مثيرة ، وما يوجد في أحشائه من أسماك ، يؤكد الكاتب أن أجدادنا الكنعانيين استخلصوا ولأول مرة في التاريخ الأصباغ التي اشتهروا بها ، وحملت اسمهم منذ العصر البرونزي الوسيط أي منذ خمسة وثلاثين قرناً ، خاصة اللونين الأرجواني والأحمر ليصبغوا أقمشتهم الصوفية ص 261 . كما يؤكد على تقدم العرب الفلسطينيين في صناعة السفن من الأخشاب المحلية والمستوردة أيضاً من البيئات المجاورة ، ولهذا كان المثل الشعبي (اللي ملوش في البحر لوح ملوش روح) ، لأن أجدادنا القدماء كانت لهم قواعد بحرية على طول امتداد الساحل اللبناني والفلسطيني ، وكانت غزة مشهورة بمينائها (تل العجول).

ثم يقفز الكاتب مباشرة إلى ثلاثينيات القرن العشرين ، وقد قال أحد أبناء عائلة أبو حصيرة : أنه في عام 1934 نقلوا أول (فلوكة) إلى غزة وقد صنعت في يافا ، وأنه في عام 1938 تم صناعة أول (فلوكة) لصالح عائلة أبو حصيرة على يد أحد أبناء صيدا والمقيم في يافا ص 263. ونود هنا أن نلفت الانتباه إلى أن أهالي غزة والساحل الفلسطيني كانوا يعرفون أنواعاً أخرى من السفن البحرية ، كانوا يستخدمونها في مجالات الشحن والصيد ، فقد حنثي الحاج عبد الباري محمد أبو حصيرة ⁽⁴²⁾ ، أن سكان ساحل غزة كانوا يستخدمون مركباً اسمه الماعون (الجرم) لتفريغ المراكب الضخمة أثناء الحرب العالمية الأولى من ظهر البحر إلى الشاطئ خاصة تلك المتعلقة بالجيش الإنجليزي ، وهذا النوع ضخم ⁽⁴³⁾ يصلح للشحن والتفريغ ، وقد انتهى استخدامه في عهد الاحتلال الإسرائيلي وبالذقة في منتصف السبعينيات ، لانتهاء فائدته وارتفاع تكاليف صناعته وترميمه وقد شاهدت بعيني مرحلة التخلص من هذا النوع من السفن .

كذلك أفادنا الحاج عبد الباري أن جده عبد الله عرفات أبو حصيرة قد اشترى مركباً والمعروف باسم (المبطنة) وهو مركب خاص بالصيد وحمل الشباك الضخمة ، خاصة شبك الجرافة ، قد اشتراها من الإسكندرية مع نهاية الحرب العالمية الأولى ⁽⁴⁴⁾.

كذلك يبحث المؤلف في أنواع السمك المتوافرة في شاطئ بحر قطاع غزة ، وذكر اسم أحد عشر نوعاً من السمك ، ونلاحظ من خلال استعراض أنواع السمك في ميناء غزة للصيد، أن أنواعاً كثيرة وتجارية لم يذكرها المؤلف وكذلك هناك أسماء كانت موجودة ثم انقرضت ، وهناك أنواع جديدة من الأسماك ظهرت بكميات تجارية.

ومرد هذا القصور في الإحصائية أنها قديمة تعود إلى العام 1964 ونورد هنا إحصائية جديدة بأسماء الأسماك المتوافرة . بكميات تجارية : السردين ، اللكس ، قرييس ، برش ، كلب البحر، طرخون، مرمير، يوري، جمبري، حباري، مليطة، غزال، بلاميدا (تونة)، صروص ، السلطان إبراهيم ، ذهبان ، جلمبو ، اسكمبله ، دنيس، عصفور .

- * أسماء أسماك منقرضة : مَيَّاس ، لَبَط ، عدس ، صلبية .
 - * أسماك جديدة : غزال ، وقد ظهر على شواطئ غزة في بداية ثمانينيات القرن العشرين .
- ويقال في مصر (الكنعن) .

يستعرض الكاتب في هذا الفصل أنواع شباك الصيد ، وأسماء الأنواء التي تجتاح المنطقة ويحفظها البحارة عن ظهر قلب . ثم يحلل مجموعة من الأمثال الشعبية ⁽⁴⁵⁾ مبيناً من خلالها العلاقة الاجتماعية والاقتصادية والنفسية للبحري الفلسطيني .

نلاحظ هنا أن المؤلف استقى معلوماته البحرية من شخص واحد ولم يوثق معلوماته من أشخاص آخرين ، كما فعل زكي العيلة ، وكما فعل ابن قتييبة في كتابه (الأنواء) ، وكما هو منهج ⁽⁴⁶⁾ البحث الميداني المعتمد على الذاكرة .

يستعرض الكاتب في نهاية هذا الكتاب بعض المصطلحات والتعابير الشعبية الفلسطينية الواردة في الكتاب ، وهذا جيد ، وقد تكون الفائدة أكبر لو عمل على شرحها ، وقد شرح بعضاً منها في هوامش الكتاب ، وهذا قليل ، وتبقى هذه التعابير صعبة الفهم على القارئ ⁽⁴⁷⁾ .

2- كتاب (ملاح الشخصية الفلسطينية في أمثالها الشعبية)

يشتمل الكتاب على ستمائة وستين صفحة من القطع العادي ، ويظالنا الغلاف بلوحة تراثية ، يبدو أنها لثوب فلسطيني تراثي . يحتوي الكتاب على مقدمة واثنين وثلاثين فصلاً وخاتمة ، وقد طرح المؤلف بعض القضايا المهمة في المقدمة نفصلها كما يلي :

سبب الدراسة :

يؤكد المؤلف أن ملاح الشخصية الفلسطينية مطمح نتوق إلى التعرف عليها من خلال الطبقات الحضارية ⁽⁴⁸⁾ "تريد التوغل في البحث عن خصائص هذه الطبقات ومميزاتها ، وما اندثر منها مع الزمن ، وما بقي منها خالداً ، عبر تاريخه المديد" ص 6 ، مؤكداً على ألا تقتصر الدراسة على مجرد إحصاء لظواهرها ، بل يجب أن تتعدى ذلك إلى إدراك فلسفة الشعب المرتبط بتاريخه وظروفه البيئية ، ومن خلال ذلك يطرح المؤلف تساؤلاً : "ماذا ينبغي على الدراسات الشعبية أن تحقق ؟" ص 6 لأن مهمة هذا العلم دراسة علاقة الإنسان بالأرض والظروف التاريخية ، ولا شك أن هذا التساؤل في محله لأن "إحدى المشكلات الرئيسية التي تتعلق بمفهوم الموروثات الثقافية هي قيمته الوظيفية" ⁽⁴⁹⁾ فلا بد من قيمة وظيفية لهذه الموروثات من خلال السياق الثقافي وأن تبقى حية ، وأن تجاهل وظيفتها يعني أنها من مخلفات الماضي وفقدان الصلة بحركة التاريخ التي تتيح للمؤلف دراستها من أجل إثبات تراصل الحضارات ⁽⁵⁰⁾ الإنسانية على أرض فلسطين منذ القدم وحتى الإنسان الفلسطيني الحديث ، إذن لا بد أن نقرأ الحاضر من خلال الماضي وهذا ما يحاوله المبيض في هذا الكتاب من خلال دراسة " أفكار مأثورة أو ممارسات لدى شعب عبرت مجموعته الرئيسية

مرحلة الحضارة⁽⁵¹⁾ وربطها بأفكار وممارسات الشعب الفلسطيني الحديث على الأرض نفسها ، تواسلاً مع الشعب الفلسطيني القديم.

كما تهدف هذه الدراسة إلى الرد على بعض المستشرقين المغرضين الذين هبوا لدراسة الفلكلور الفلسطيني في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، رغبة منهم في طمس هوية هذا الشعب العربي الفلسطيني أو إظهاره وكأنه بدون ملامح ، ومحاولة التشكيك في أصالته ، ويذكر بعض الدراسات الاستشراقية المدعومة صهيونياً.

المنهج:

يذكر المؤلف أنه يتبع المنهج الفلكلوري الحق الذي لا يكتفي بجمع النصوص الشعبية، بل يتعداه لاكتشاف أعماقه لتبيان واقع المثل الشعبي ، وتفسير كنهه للوصول إلى حقيقته الداخلية ، ثم ربط ماضيه بحاضره التي تستمد أصولها من تعقب جذور التاريخ المديدة لهذا الشعب وتتبع مظاهر نشاطه⁽⁵²⁾ وتعامله مع المعطيات المحلية والخارجية ، ومع ما صاغ من ذاكرته وفيض عواطفه ووجدانه شعراً شعبياً ونثراً. ص7

لماذا المثل الشعبي :

يتساءل الكاتب هنا عن النص المؤهل بشمولية التغطية لجميع المجالات الجانبية الشعبية المتباينة ، يقول في ذلك " إنه المثل الشعبي الفلسطيني" ص7 القادر على تشخيص ملامح هذا الشعب بما تميز به من غزارة فياضة لها قدرة الكشف عن البنية الثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية وحتى النفسية لهذا الشعب ، بما يضم بين أعطافه من حقائق وتجارب تغطي جميع مناحي الحياة ، ويؤكد المؤلف أن المثل الشعبي الفلسطيني هو المدخل الحقيقي لدراسة فلكلورية فلسطينية شاملة للكشف عن ملامح وسمات الشخصية الفلسطينية خاصة وأن " في بعض الأحيان يضمن العامة أمثالهم أسماء ووقائع حقيقية من التاريخ"⁽⁵³⁾.

جمع المادة:

يقول المبيض في كيفية جمع مادة كتابه " لذا اتخذت من بؤر التراث المحلية داخل مدننا وقرانا ميداناً للدراسة ، متجهاً للمجالس العامة والخاصة "الدواوين" وكبار السن في البادية والحضر"⁽⁵⁴⁾ لأخذ منهم أمثالهم الشعبية التي غالباً ما النقطها وهي تصدر عنهم أثناء أحاديثهم" ص11 يعطي هذا لفهم مغزى الحديث ومعناه، وهي تخرج على سجيته من أفواههم في مناسبات خاصة ، حيث يخرج المثل معبراً عن هذه الخاصية، وقد ابتعد المؤلف قدر الإمكان عن الأمثال الشعبية المكشوفة ، كما بعد عن التكرار في تدوين الأمثال التي تختلف عن مثيلاتها في كلمة أو كلمتين فقط ، لكنه كرر بعض الأمثلة الشعبية المركبة ، أي تلك التي تضم في دلالتها عدة مواضيع حسب تقسيمات أبواب الكتاب - ص11.

الفصل الأول: المثل الشعبي :

كتب المؤلف عن مفهوم المثل الشعبي وخصائصه، ومبناه، ووظائفه، معتبراً ذلك تمهيداً ميسراً لهذه الدراسة. يعتمد المؤلف في تحديد مفهوم المثل الشعبي على العديد من التعريفات سواء لكتاب عرب أم أجانب، ثم يربط بين علاقة بعض الأمثال العربية، وما يماثلها من أمثال في الحضارات الأخرى، مثال ذلك: المثل السومري القائل (لقد ولدت في يوم نحس). يقابله في المثل الشعبي (فلان نحس) أو (فلان حسومي) أي منحس ص 16، ثم يتطرق إلى كتابة الأمثال العربية في العصر العباسي، وإلى أهم كتاب الأمثال في مختلف العصور العربية ص 20 ويتطرق إلى تعريف بعض الشعوب للمثل مثل تعريف شعب البوسنة، واليوناني، والسوفييتي، والسويسري، وينتهي ذلك بتعرف الشعب الفلسطيني للمثل بقوله (المثل ما خلاش حاجة إلا قالها)، (وأمثال العوام ملح الكلام)، (والمثال مصاييح الأقوال) ويذكر الهدف من ذلك فيقول "ولعل إيرادها هنا ما يعزز الانتماء، والاعتماد على تراث أجدادنا، والابتعاد عما يورده الأجانب، خاصة تلك المتعلقة بتراثنا الشعبي" ص 22.

يعتد المؤلف قبل نهاية هذا الفصل مقارنة بين المثل الشعبي وبين الحكمة، ويعرف الحكمة بقوله "هي الكلام الموافق للحق، أو صواب الأمر وسداده... لكنها شخصية أو ذاتية.. في حين أن التجربة المثلية عامة".⁽⁵⁵⁾ فالمثل لعامة الناس وهو الأكثر شيوعاً وعدداً، بينما الحكمة لخاصتهم في الأغلب، والمثل أكثر استخداماً لأنه محفوظ على لسان عامة الناس. لأن الحكمة تقال على لسان مجرب، سيد في قومه، بينما المثل قد يقوله أحد عوام الناس في مناسبة معينة، فيجري على ألسنتهم لاستحسانه وقد ارتبط بقصة معينة، بينما الحكمة لا قصة لها.

يطرح المؤلف عنواناً هامشياً (وظائف الأمثال) محدداً بعض هذه الوظائف في قوله: "المثل كقاعدة تشريعية شعبية، المثل في الصحة النفسية والطبية الشعبية، المثل الشعبي نص تعليمي ماثور، المثل ترشيح القيم الأخلاقية والاجتماعية والدينية، المثل الشعبي مستوى بلاغي رفيع، المثل الشعبي والحركة الفنية، المثل الشعبي والهوية القومية العربية" ص 22.

ويركز على الفقرة الأخيرة فيقول: "فالأمثال بذلك تقر حقيقة قومية عربية وإسلامية واضحة، بما تنفذه من مقومات لغوية، ووقائع تاريخية وأعراف اجتماعية ومعتقدات دينية وجذور سلالية"⁽⁵⁶⁾، لهذا أصبحت الأمثال الشعبية سترأ تراثياً يركن إليه كوثيقة تحمل ملامح شعب، وقد لاحظنا ذلك بجلاء لدى فلسطيني 48، فهم يرتكزون على المثل الشعبي في أحاديثهم، وبعد هذا جزءاً مهماً للحفاظ على الشخصية العربية ضد محاولات إسرائيل طمسها، فكان الأدب الشعبي مساعداً مهماً في وجه هذه المحاولات⁽⁵⁷⁾، وربما تكشف الأمثال جانباً خطيراً من جوانب "المزاج العام للعصر" قد لا تستطيع الدراسات التاريخية أو الاجتماعية

المباشرة الكشف عنها ، وهذا المزاج لا تحدده مجموعة الحوادث التاريخية ، ولا تكشف عنه بقدر ما تحدده ردود الأفعال المباشرة من جمهور الناس تجاه تلك الحوادث ونوعها . (58)

يقول المؤلف في نهاية هذا الفصل " لعل ما ذكرناه من مفهوم المثل الشعبي ، وخصائصه ، مبناه ووظائفه ، يفسر لنا لماذا اتخذنا المثل عنواناً ووسيلة لتفسير ملامح الشخصية الفلسطينية " ص 29

الفصل الثاني: اللهجات الفلسطينية في أمثالها الشعبية :

يعرف المؤلف اللهجة العامية بأنها صورة متدهورة من الفصحى ، وأنها تركيب آلي غير جدلي من العربية واللغات التي عرفتھا الساحة العربية خلال تمازجها مع الحضارات الغازية (ص 33) يرى المؤلف أن قراءة المثل الشعبي بالفصحى يفقده طلاوته النثرية ورشاقته اللفظية ، من هنا جاءت كتابة الأمثال كما يلفظھا الشعب ، وهنا نراه يبدي اهتماماً بالحديث عن اللهجات العربية الفلسطينية ، فيقول " الكثير من الكلمات البابلية والآشورية التي هي من لهجات اللغة الأكديّة ينطق بها شعبنا حتى اليوم ، ربما دون إدراك منهم بعمقھا التاريخي " ص 34 ، ويأتي بأمثلة من اللهجة الفلسطينية سواء ليوافقھا مع الأكديّة أو الآرامية أو الكنعانية والفارسية والسريانية والتركية والإنجليزية . وما يهدف إليه المؤلف هو تأكيد الحضور العربي الكنعاني والفينيقي والفلسطيني القديم في الساحة الفلسطينية الحديثة دون انقطاع .

يدرس المؤلف انتشار القبائل العربية في فلسطين ، واستطاع أن يرسم خارطة جغرافية لهذا الوجود القبلي ، أو أتبعه برسم خارطة جغرافية للهجات داخل فلسطين التاريخية ، وهذا إنجاز لم يسبقه أحد من قبل ، وأظن لو أن المؤلف زاد من جهده لتوسيع هذه الخارطة الجغرافية للهجات المحلية والعربية داخل فلسطين ، لكان انجازه أعظم .

يقول المؤلف بعد هذا العرض " نجد أننا بإزاء شخصية عربية الملامح من جلدها ونخاعها " (ص 51) .

ينكر المؤلف في الفصول التالية أمثالاً تنل على المعتقدات والمعارف الدينية التي مرت بفلسطين عبر التاريخ مثل الشمس والقمر والحية وبيت الإله ، ودور الحية في السحر والشعوذة الشعبية⁽⁵⁹⁾ ، وللشفاء من الأمراض النفسية أو ما يعرف (بالحجاب) ⁽⁶⁰⁾ . ثم أمثال شعبية عن الأنبياء (إبراهيم ، والنبي شعيب ، والخضر ، والنبي صالح ، وأيوب ، وسليمان ... وغيرهم) ذكراً للمواسم الدينية الخاصة ببعض الأنبياء ، مثل موسم النبي صالح في الرملة ، والنبي روبيـن جنوبي يافا (على شاطئ بينا) والنبي شعيب في طبريا ، والنبي أيوب على شواطئ المدن الفلسطينية المعمرى شعبياً (أربعة أيوب) ، ثم ينكر أمثال المواسم الخاصة بلواء غزة الجغرافي ، مثل موسم الخمسمان ، وباب الدارون ، والمذاهب والطرق الصوفية ، والزوايا والتكايا ، والنذور والصنقات ، والوقف ، ثم أمثال الأعياد المسيحية .

عيد الصليب، وعيد لـد ، وميلاده ، والغطاس ، والتجلي ، ويقول المؤلف في مدخل هذا الفصل "لا بد لنا من وقفة مع مواسم وأعياد الأخوة من العرب المسيحيين الفلسطينيين ، أخوة العروبة والمصير" ص113 ثم يذكر دور المسيحيين في النهوض بالأمة العربية في فلسطين ، والاشتراك في الدفاع عن قضاياهم ، فهم فلسطينيون من عصر السيد المسيح⁽⁶¹⁾ وحتى يومنا هذا ، فقد تداخلت الأعياد ، وأصبح الكل يشترك في أغلب الأعياد ، سواء كانت مسيحية أم إسلامية⁽⁶²⁾ ، والجيد في هذا الفصل السابع ، هو تحديد المؤلف قوله في عيد الصليب (يصانف يوم 9\27 ذكرى عثور قسطنطين وهيلانة على الصليب الذي يعتقد بأن المسيح عليه السلام صلب عليه وهو بداية سقوط الأمطار (مطرة الصليب) ص114. ثم ذكر أمثال عن القيم الإسلامية مثل : القضاء والقدر ، والقسمة والنصيب ، والتسوية ، والأمانة والسر ، يقول في هذا الفصل الثامن " فكان الحضور الإسلامي بمبادئه وقيمه السمحة تعزيراً للتواجد العربي من قبل ، وتعزيراً له ، وإثراء لبنينته الثقافية" ص121 ، من هنا جاءت الأمثال الشعبية التي تدعو إلى حرية الدين قبل قولهم : (كل من هو على دينه الله يعينه) و (الدين لله والوطن للجميع) و(زي اللي أسلم في العتمة لا عيسى شطبه ولا محمد كتبه) و(أبرك السنين عيد النصراري مع المسلمين)

ثم يذكر أمثال خاصة بشهر رمضان ، والعيد ، وأمثال الحج ، وعاشوراء، والموت ، وأمثال الطيور، وأيام الأسبوع ، والنجوم ، وبعض الأمثال في هذا الفصل لم يعد لها وظيفة أو ذكر في هذا العصر ، ويشير المؤلف إلى ذلك في الهامش عن الأمثال التي تنهى عن العمل يوم الاثنين ، أو الغسل يوم الاثنين ، يشير في الهامش بقوله " هذه الأمثال لم يعد لها تأثير اليوم ولا يعملون بموجبها " ص196. ويذكر في الفصل الثالث عشر أمثالا عن النباتات : النخيل والقمح والشعير والأرز والخروب والبلوط والجميز والرمان والسدر ، ثم الطقوس السحرية ، والقصص الخرافية والحسد والرقية والبخت وأمثال الزمان والنظرة المستقبلية وطلب العلم ، وأمثال الملاحم التاريخية والسياسية .

وفي هذا الفصل نلاحظ خلطاً واضحاً بين المثل الشعبي ، وبين الشعارات السياسية التي قيلت في مظاهرات 56 و 1967 ، فلا أدري كيف يمكن اعتبارها أمثالا شعبية وهي بلا شك شعارات لها دراستها الخاصة ، مثال ذلك (مصر... ولا غير مصر) و (نرحب بكم ضيوفاً لا محتلين) يقصد بالإدارة المصرية لقطاع غزة (غزة عربية لا دولية) ، (ليش الخوف ليش الخوف ، الحجر ضد كلاشنكوف) والكثير من هذه الشعارات(63) التي صاغها المؤلف ضمن المثل الشعبي.

يستعرض المؤلف في الفصل (السابع عشر) أمثال البحر ، ثم أمثال المأكولات الشعبية ، هنا نجد المؤلف يذكر بعض قصص الأمثال ، ربما توافرت لديه ، وهذا ليس من منهج الدراسة ، لكنه سلوك جيد لأننا بحاجة إلى جمع قصص الأمثال الشعبية . ويذكر أيضاً

أمثال الطب والوصايا الصحية الشعبية ، وأمثال كرم الضيافة والبخل ، وأمثال الطمع والأنانية، ويذكر المؤلف في الفصل (الثاني والعشرين) أمثال الأسرة والمرأة ، والزوجة، ثم المقاييس الجمالية الشعبية ، ومعايير الأصالة ، والغنى والفقر، ثم أمثال فصل الحق ومواعيد العرس ومراسيمه: يحلل المؤلف في الفصل (الخامس والعشرين) أمثال الأسرة الممتدة والحماة ، ومشاكل النساء ، والحمل والرضاعة ، والطلاق ، وتعدد الزوجات ، ثم وجهة نظر المرأة في الرجل ، وأصناف النساء ، وفي الفصل (السابع والعشرين) يحلل أمثال أصناف الرجال ، والفئات العمرية ، والعصية العائلية ، ثم الديوان (المضافة) ، والقهوة والمقهى، والدخان، والجار والجيرة، والصدقة ، ثم الخصومات والتحدي والسرقة والفروسة.

أما الفصل (الحادي والثلاثين) فقد خصصه لأمثال الثار والقضاء الشعبي بكل تفاصيله ، وشخصية القاضي الشعبي ، كما تطرق إلى أمثال الأقليات في الوطن العربي (الأكراد ، النور ، الغجر)، ثم أنهى هذا الفصل بأمثال الملابس الشعبية .وحل في الفصل الأخير (الثاني والثلاثين) الأمثال التي تحتوي على فكاهة ، وحزازير (الأحاجي والألغاز)⁶⁴ ، وأفضل ما في هذا الفصل القصص الشعبية التي تحكي عن أهالي فلسطين قبل النكبة ، مثال ذلك القصة المشهورة عن أهالي قرية الجورة الفلسطينية (عومي يا بنت النواتي عومي)⁶⁵، وقصتها كما قال المؤلف " قالها أحد أبناء القرية وهو نائم فوق سطح منزله وبجواره زوجته ، وفي تلك الليلة غطى المنطقة الساحلية ضباب كثيف ، فلما فتح عينيه خيل إليه وكأن البحر قد غمره ، فأخذ يجنف بيديه ويسبح على بطنه منادياً لزوجته بأن " عومي يا بنت النواتي عومي) حتى وقع مغشياً عليه على سطح الأرض " ص 643. ينهي المؤلف كتابه بخاتمة قال فيها : " هكذا شخصت الأمثال الشعبية بمجالاتها المتعددة ، سمات الشخصية العربية الفلسطينية ، موضحة ملامحها البارزة التي استمدتها من عوامل جغرافية وتاريخية وحضارية ، حددت أصولها وجذورها ، وأوضحت كيائها بشكل تفردت فيه بقسمات تفصح عن هويتها العربية الكنعانية (66) الفينيقية بالجد ، العربية الفلسطينية بالأب"ص655.

3- كتاب (الحصيدَة في التراث الشعبي)

يقع الكتاب في منتي صفحة تقريباً من القطع الصغير، يتكون الكتاب من مقدمة، وتوطئة تاريخية و اثني عشر فصلاً.

دوافع التأليف :

يذكر المؤلف في المقدمة دوافع تأليفه الكتاب قائلاً: " والانتفاضة الذاتية هي شعاع من إشعاعات الانتفاضة الشاملة" ص5 فالبحث عن التراث والتقيب عن جذوره بالدرس والتحليل هو في الحقيقة بحث وشرط جوهري لتجدد الشخصية الحضارية والوطنية "ص5 هذه الدراسة تؤدي إلى إعادة صياغة تفاعلنا بالتراث الشعبي ، فهو تلاحم عضوي وفكري بين عراقية الماضي بأبعاده وثقافة الحاضر ، ليخلق هذا التفاعل قوة دافعة نحو المستقبل الفلسطيني ، وهذا أيضاً " يحصننا ضد الاغتراب وتشويه الاستشراق "ص6 وضد الانخداع بلمعان الفكر الغربي ، إذن أضحت دراسة التراث جزءاً من الإدراك والوعي الجغرافي والتاريخي ، لأنه يمثل العودة والرجوع لأحداث ترسبت وتراكمت في أعماق الجماهير ووجدانها .

لماذا الحصيدَة؟

يذكر المؤلف أن سبب اختياره الحصيدَة ميداناً لكتابه يعود " لأنها تفصح عن العديد من أنماط الممارسة الحياتية يوم يقومون بحصاد القمح خاصة والشعير عامة مع ما يفتن بها من ماثورات شعبية متمثلة في الأمثال والأهازيج الشعبية ، وتؤكد العادات الأصلية المتعددة .. وهي ممارسات قولية واحتفالية وعملية لشعبنا بصورة تلقائية جمعية تعكس آلامهم وأحلامهم وطموحاتهم "ص6 فهي ماثور شعبي مليئة بالسلوكيات الشعبية التي ترسخ العلاقة بين الإنسان وأرضه، وتؤكد عادات شعبية أصيلة متوارثة يعود بعضها إلى حقبة الكنعانيين .

المنهج:

يعتمد المؤلف لتوضيح ماثورات الحصيدَة على " دراسة تاريخية بنظرة جغرافية لا تبتعد عن البعد الاجتماعي والسياسي .. لحملة هذا التراث من خلال الحصيدَة الفلسطينية" ص7 فقد بذل المؤلف جهداً وهو يصف هذه الظاهرة وقد اقترب في دراسته إلى ما يسمى بعلم الشعوب المقارن المعتمد على الوصف والدراسة والتحليل ، ليصل إلى الجذور والملاحق التاريخية والجغرافية وكذا الاجتماعية والنفسية ، ليقف على تواصل وجود الإنسان العربي على أرضه وبلاده .

جمع المادة:

والحق أن الكاتب يلجأ في جمع المعلومة إلى الإنسان الفلسطيني في باديته وقريته ومدينته ، فهو مركز المعلومات ومصدرها الأصيل ، يقول المؤلف في ذلك : " كنت على الاتصال المباشر مع أبطال الحصيد من رجال ونساء داخل مجتمعنا الفلسطيني من خلال التعاون معهم والتعرف على ما تبقى من أدواتهم في جميع أماكن وجودهم ، ابتداءً ببناء السبادية العربية الفلسطينية من أبناء القبائل والعشائر ، وكذا مع أبناء القرى والمدن الفلسطينية في جميع أنحاء البلاد عامة ، وأبناء قطاع غزة خاصة "ص7 هذا هو طبيعة منهج جمع التراث الشعبي ، لأن الجمهور هو المصدر الوحيد لجمعه وفهمه . الجديد في هذا الكتاب أمران:

- 1- أن المؤلف اعتمد في بحثه على المثل الشعبي والأهازيج الشعبية ، وهذا يخالف منهجه في جميع كتبه ، حيث كان يعتمد فقط على المثل الشعبي ويبدو أن الأهازيج جزء لا يتجزأ من أداء الفلاح الفلسطيني في معظم مراحل الحصيد من بداية التطور وحتى عجن رغيف الخبز، وبهذا فرضت الأهازيج نفسها على البحث.
- 2- اعتاد المؤلف في كتبه السابقة على إقليم غزة الجغرافي مكاناً لبحثه ، وهنا نراه يعتمد على معظم أرض فلسطين التاريخية لأن بعض أبناء القبائل هاجروا إلى قطاع غزة من قلب صحراء النقب وهؤلاء يمثلون شريحة واسعة من عمال الحصيد وحاملي تراثها .

مقدمة تاريخية (توطئة تاريخية)

يدرس المؤلف في هذه التوطئة، تاريخ زراعة القمح مؤكداً من خلال الاعتماد على مراجع أجنبية أصيلة⁽⁶⁷⁾، أن أول ثورة زراعية في الألف السادس قبل الميلاد كانت في مدينة أريحا الفلسطينية ، حيث استخدم أهلها القمح مادة غذائية ، ثم قاموا بعملية تهجين منحتهم الاستقرار بينما أقدم قرية عراقية قرب بابل كانت في القرن الخامس قبل الميلاد . وقد اعترف⁽⁶⁸⁾ العالم الأمريكي (روبرت براودود) أن سكان أريحا زرعوا الحبوب وحبوا الحيوانات ، منذ ذلك الحين بدأت قصة زراعة القمح والشعير في الأراضي الفلسطينية ، وفي مراحل متقدمة اشتهر الفلاح الفلسطيني بزراعة نوع متميز من القمح المعروف ببياضه وكبر حجمه حتى أطلقوا عليه اسم (سن الجمل) ص19 يوضح الكاتب في هذه التوطئة علاقة زراعة القمح ، بالسياسة فكتب عن تأثير الحرب العالمية الأولى على زراعة القمح ، وكيف أن بريطانيا قد عطلت تصدير القمح الفلسطيني إلى أوروبا والكاتب يذكر علاقة الأوضاع السياسية بتصدير القمح الفلسطيني وزراعته. ثم يقول: تلك هي السمات العريضة لقصة زراعة القمح على الأرض الفلسطينية ، قصة كفاح الفلاح الفلسطيني العربي وتعامله مع أرضه .. منذ آلاف السنين ص25.

يبحث المؤلف في (الفصل الأول) في ميقات الحصيد (في آيار أحمل منجلك وغار) و(في نيسان الحصيد وين ما كان) ، ثم يذكر أنواع القمح حسب نضوجها وعلاقة ذلك بكمية الأمطار الشتوية . منها القمح خصاب(69)، و القمح يهف(70) و قمع ساغ(71) والقمح قايص (72) والقمح هايف (73) والقمح مسفوح(47) و قمع مطوبر(57) و قمع فاقع (67) و قمع بغيت (77) والقمح غف(78) والقمح محمور(79) و قمع الدبية (80) و قمع عين البنت (السمرا) (81) والقمح السيلوي (82) .

يكتب المؤلف في الفصل الثاني موضوع القيام للحصيد (السروة البدرية ما بتلحق) يذكر المؤلف العديد من المصطلحات والتسميات الشعبية على وحدات المساحة للاراضي مثل: السربع(83) ، القطمة(84)، المارس(85) ، الدونم (86)، اللجئة(87) ، ويقوم الرجال بحصاد القمح مستخدمين المناجل والقالوش ، ثم يأتين خلفهم النساء (اللقاطات) حيث يقمن بجمع عيدان القمح وتكويمه على شكل غمور(أكوام) وهم يؤكدون أن وقت الحصاد يكون مبكراً (احصد ع البدري ، قبل ما تيجي الشوية) ، ويحشد المؤلف عدداً كبيراً من الأهازيج التي يرددوها الحصادون أثناء عملهم ، و كل مرحلة من الحصاد لها أهازيجها الخاصة .

يكتب المؤلف في الفصل الرابع في أدوات الحصيد (بالقالوش لأطل أهوش ، وبالمنجل ما أني حصاد) ومن هذه الأدوات التي يذكرها المؤلف من خلال الأهازيج الشعبية ، المنجل (88) ، القالوش (89)، شنشرة (90) ، السحلية(91)

ويذكر في الفصل الخامس كميات الحصاد وتسمياتها في قولهم (كل ما طالت ياما ترمي غمور) (92). ويذكر في الفصل السادس إيجار العاملين بالحصيد من أهل القرية أو القادمين من البلدان المجاورة ، ويطلقون عليهم (البراوية) أو (الطشاشين) أي الذين يحضرون من أماكن بعيدة ومعهم أفراد أسرهم ويعملون بطريقة المقولة ، وتسمى أجرتهم (كروة) .

يتحدث في الفصل الذي يليه (السابع) عن الجمال الذي يقوم بتوصيل المنتج الزراعي من البيدر إلى القرية أو المدينة ، ويكتب أهازيج عن الجمال وأهميته ، وشخصية الجمال.

أما الفصل (الثامن) فيتكلم فيه المؤلف عن الجرن (البيدر) وهو مكان تجمع القمح ودرسه وتدريبه وتحصيله إلى القرية أو المدينة ، و قد يتم بيعه في الجرن أحياناً . يقول المؤلف في الربط بين الحضارات واستمرارها " والجرن في حد ذاته قد نقلناه نحن عن أجدادنا العرب الكنعانيين الذين انتشرت أجرائهم في طول البلاد وعرضها منذ آلاف السنين "ص118. ويحلل في (الفصل التاسع) النظرية والوسائل المستخدمة في هذه العملية ، يقول المؤلف : " والمذرة هي عصا خشبية طويلة تنتهي بأصابع خشبية خمس ، يغمدها في القيمة(93) بكتلتا يديه ثم يرفعها إلى أعلى لينتشر ما تحمله المذرة في اتجاه الريح الغربية أو نسيم البحر ، وقد

استخدم أجدادنا القدماء من العرب والكنعانيين هذه الأداة " المذراة " منذ القدم كما أبانتها قصائدهم الأدبية " أو جاريت " (94) " ص 133

يقوم صاحب الغلة بعد انتهاء العمل بختم كومة القمح بوساطة أختام خشبية أو معدنية " وكان أجدادنا العرب الكنعانيون يستخدمون أختامهم أي أختام الآلهة ليختتموا بها اغلالهم "ص 138 ، ويشرح المؤلف في الفصل العاشر (الصليبية) كيف يتم التعامل مع القمح بعد تصليبه ، والصليبية هي كومة القمح المترتبة على أرض الجرن بعد الانتهاء من عملية التزرية تماماً ص 149، عندئذ تظهر كمية الانتاج بوضوح ، لهذا يقولون (عند الصلايب يتحمر الوجهه) إما تحمر خجلاً أو تبتهج فرحاً ، ثم يجيء دور الكيال في الفصل (الحادي عشر) (كيال البيدر... فلاح ..) والكيال هو الرجل المحترف وصاحب الخبرة والدراية في عملية التكيل . حيث يغرف الكيال أول صاع من الصليبية يسمونه (صاع الخليل) تيمناً بأبينا إبراهيم الخليل ، ويقدمونه لفقيه من القرية ، أو لأول عابر سبيل ، وقد يطحنونه ويصنعون منه " سباط الخليل " ويوزعونه على الفقراء ، وبعد التكيل تأتي عملية التخزين في الفصل (الثاني عشر) " وكمية المخزون هذه لها مردودها على نفسية الفلاح التي تتعدى الأهمية الاقتصادية المتمثلة في صورة بيع بعض منها عند الحاجة لكي يفي بمتطلبات أسرته ، فتتعداه لتستغلغل في كيانه الاجتماعي ، فالمخزون في البيت بمثابة " الزادة والزودة " التي تشيع في نفسه الأمن والأمان والاستقرار له ولأبنائه "ص 173 ومن أهم وسائل التخزين في القرى والمدن الفلسطينية هي : الآبار (95) ، والمطمورة (96) ، والكمز (97) ، والخلايا (98) ، والخابية (99) ، والبايكة (100) ، والمداور (101) ، والغرارة (102) .

جاء في الخاتمة تساؤلات المؤلف " وبعد... أي مجرد قصة حصاد من ألفها حتى ياتها .. قمحها وإنسانها وأدواتها . أم هي وقائع لحضارة إنسان تحكي قدرته على استنباط زرعه وإبداع أدواته . أم رواية التوافق والتوازن الحضاري النبيل على واقعه البيئي وتعامله الهين مع أرضه الطيبة لدرجة العيش الكريم في بلده .. أم ملحمة الكفاح من أجل لقمة العيش "ص 197

4- كتاب (الإبل في التراث الشعبي)

يقع الكتاب في حوالي مئتين وخمسين صفحة من القطع المتوسط ، يتكون الكتاب من مقدمة وخاتمة وخمسة عشر فصلاً .

يبحث الكتاب في المقدمة عن أهمية الإبل ، ولماذا اختار الإبل مادة لبحثه؟ هل لأن لها مكانة مستجذرة في وعي العربي ، ولها منزلة في كيانهم الاجتماعي ، وبينتهم الاقتصادية؟ معروف أنه كان للإبل تأثير كبير في تشكيل القصيدة العربية الأولى في الجاهلية "فكان أول غناء يصدق في البداء عبر أثير الصحراء ، فجرته الإبل " ص 6 وقد تفجرت أحاسيس الجاهلي وعواطفه حذاءً ورجزاً ، غناءً فياضاً " إن أول خطوة خطاها الإنسان العربي نحو الشعر الموزون تمثلت في الكلام المسجوع بين جملتين ثم أكثر ، ثم بدأ هذا الكلام المسجوع يتطور مع الحذاء ، وهو من طبيعة حياة العربي وهو يقود إبله في جوف الصحراء مستترناً بكلمات مسجوعة ، تحولت فيما بعد إلى كلام موزون مقفى على وزن الرجز (مستعلن مستعلن مستعلن) وهو أسهل الأوزان وأبسطها وأكثرها شيوعاً في الأغاني الشعبية ، وهو وزن يتناسق موسيقياً مع حركات الإبل وأقدام الخيل ، وصفير الرياح ، مما يؤدي إلى لحن رتيب ، يؤنس وحشة الإنسان في قلب الصحراء " (103) وكانت الإبل ماثراً الدهشة لضخامتها ، ورمزاً للاضطراب ، لثقل حركتها وطولها ، كما جاء في قول الشاعر الجاهلي (إمري القيس) :

فقلت له لما تمطى بصلبه * وأردف أعجازاً وناء بكلكل

يقول المؤلف " وللإبل منافع جمة عرف ابن البادية الفلسطينية كيف يستثمرها وينتفع بها الانتفاع الأمثل من لحمها ولبنها ، وجلدها وبرها ، غذاء وكساء " ص 7 ولما لهذه الدابة من أثر في التراث الشعبي لمكانتها ودورها الفاعل في نفوس أبنائها المنتشرين حول مدينة غزة وجنوبها على وجه التحديد من أبناء القبائل الذين هم امتداد بشري لقبائلنا في النقب الفلسطيني. لهذا كانت الإبل ميداناً للدراسة في بقعة جغرافية تعادل ثلث مساحة فلسطين ، إنه الجنوب الفلسطيني بصحراء النقب وقطاع غزة وما حولها من مدن وقرى . ومن الدوافع التي أدت إلى تأليف هذا الكتاب كما يقول المؤلف " رداً على حملات بعض المستشرقين المسعورة في محاولة تشويه صورة العربي أمام الرأي العام العالمي بأنه إنسان لصيق بالجمل والخيمة والصحراء ، وما ينفثونه عن الجمل بصفة خاصة بأن حيوان غبي ، لا شيء إلا لمجرد إسقاط ذلك على قرينه العربي " ص 11 .

جمع المادة :

لقد اجتهد المؤلف في جمع مادته الشعبية من أفواه المصدر الأصيل ، يقول المؤلف في ذلك " فكانت لي جولات ، والتقيت بالعديد منهم ، منتهزاً بذلك فرصة أكاد أقول بأنها أخيرة لدراسة هذا التراث الخاص بالإبل" ص9 ولا شك أن المؤلف اتبع الأسلوب العملي والمنهج الخاص بجمع التراث الشعبي ، حيث قطع مسافات طويلة كي يصل شيخاً أو مقراً لقبيلة بدوية ، قد يجد وقد لا يجد ما يصبو إليه ، سواء جمع المادة أو التأكد منها أو تعزيزها وتصويبها ، مما يجعل مثل هذه الدراسة صعبة البحث ، لكنها ممتعة في نتائجها وعلاقاتها ، والأمراً الآخر هو أن الكاتب لحق بمن تبقى من شيوخ العشائر أو الرجال والنساء الذين عملوا في مجال تربية الإبل ، والمؤلف هنا على حق لأن هذه المهنة هي الآن في طور الإنقراض ، وقد انشغل عنها أصحابها بأعمال ومهن أيسر وأكثر دخلاً ، ثم لم تعد في قطاع غزة مساحات (104) ، ترعى فيها الإبل ، ثم لم تعد فائدة الإبل القديمة موجودة الآن في أغلبها ، ويذكر المؤلف أن الكتب (105) نادرة الحديث عن الجمل ، عدا بعض الفصول أو الصفحات المتناثرة بين طيات الكتب .

هدف الدراسة :

يقول المؤلف عن هذه الدراسة: " نرجو بدراستنا هذه أن نكون قد حققنا عنصري الحفر والطموح لدى الآخرين للاندفاع لمثل هذه الدراسة ، والدراسات الفلكلورية الأخرى ، بالبحث والدراسة والتحليل .." ص11 وفي نهاية الكتاب يوثق المؤلف أسماء الشخصيات التي أمدته بالمادة الشعبية ، ومعظمهم من شيوخ القبائل العربية في فلسطين ، وقليل منهم من فلاحي مدينة غزة ولم نجد اسماً من فلاحي خان يونس ورفع وشمالى غزة ، قد يكون سبب التركيز على أسماء البدو أن الإبل ارتبطت بالبدوة أكثر .

لم يوضح المؤلف منهجه في هذا الكتاب ، كما جرت العادة في باقي كتبه ، لكننا نلاحظ استخدامه المنهجين التاريخي والاجتماعي ، وقد زاد في مادته هنا ، الأشعار الشعبية ، والأهازيج ، بالإضافة إلى المثل الشعبي ، لأن مادته هنا عما قيل في الإبل من أدب شعبي .

يدرس المؤلف في الفصل الأول الإبل في سجل التاريخ العربي وتاريخ تهجينها في العصر الحجري ، أما عن استخدام الجمل في المنطقة العربية فيقول : " تحدث العلماء عن وجود الجمال زمن الأكينيين (القرن الثالث والعشرين قبل الميلاد) واستخدموه في رحلاتهم وتنقلاتهم ، ومن الطريف أن اسم (جملو) و (إيبيلو) الأكديّة أخذت من كلمتي (جمل) و (إبل) العربيتين تماماً . كما عرف السومريون الجمل فاطلقوا عليه لقب " حمار أرض البحر " والتي يعنون بها صحراء سواحل الخليج العربي" ص16 وقد اعتمد المؤلف على مجموعة من المراجع الأجنبية والعربية المهمة في هذا الموضوع ، محاولاً ربط الأمة العربية

بالحضارات العريقة المجاورة لها ، وبحركة تنقلاتهم عبر الإبل في فلسطين ، ثم كيف تميز العرب بالتعامل مع هذا الحيوان والاستفادة منه كوسيط تجاري من الشرق إلى الغرب .

يكتب المؤلف في الفصل الثاني عن الإبل في المعتقدات الشعبية والديانات السماوية ، حيث ساد المجتمع العربي في القدم وقبل الإسلام مجموعة من المعتقدات ، اتخذوا فيها من الجمل والناقة آلهة لهم يلقبونها بالإله "بل" أو "بعل" خاصة في اليمن وفي صحراء النقب ص 25 وكان للعرب عادات وتقاليد خاصة في تعاملهم مع الإبل ، فإذا ولدت " ناقة خمسة أبطن آخرها ذكراً ، بحروا أذننها أي "شقوها" ثم يرفضون ذبحها أو إهانتها بالأحمال ، ولها أولوية عند ورود الماء ، ويطلقون عليها لقب "بحيرة" وإذا ولدت سبعة أو عشرة أبطن أسموها "وصيلة" ثم جاء الإسلام وحرم ذلك "ص 26 في قوله تعالى (ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام) (106) المائدة 103 " وهذا رد وإنكار لما ابتدعه أهل الجاهلية ، وهو أنهم إذا انتجت الناقة خمسة أبطن آخرها ذكر بحروا أذننها ، أي شقوها ، وخلوا سبيلها ، فلا تركب ولا تحلب ، وكان الرجل منهم يقول : " إذا شفيت فناقتي سائبة ، ويجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها " (107) هنا يلغي الإسلام التقليد عن الآباء ، وأن لا قدسية إلا لله ، وحتى لا تنبج الدابة لغير الله . وتقول الكتب أن النبي صالح -عليه السلام- قد توفي في فلسطين في مدينة الرملة (108) . وقد خلد الشعب الفلسطيني هذا النبي وناقته حتى اليوم من خلال المهرجان الشعبي المعروف باسم (موسم النبي صالح) في مدينة الرملة (109) .

ثم ذكر الكاتب علاقة اليهود بالجمل مستنداً إلى كتاب التوراة ، سفر التثنية ، الإصحاح 14 فقرة من 3-8 التي جاء فيها : " لا تأكل رجساً ما ، مما يجتر ومما يشق الظلف المنقسم ، الجمل والأرنب والوبر ، لأنها تجتر لكنها لا تشق ظلفاً فهي نجسة لكم " مما دفع اليهود لأن يكونوا على هامش حياة القبائل العربية ، وحرّموا أنفسهم من الإنفتاح على العالم ، فهم لا يستخدمون أهم وسيلة اتصال في تلك الفترة ، وهي الإبل . وكان استخدامهم للحمير والسبغال في الصحراء دون الإبل ، ومعروف لنا من خلال معابشتهم أنهم لا يأكلون لحوم الإبل والأرنب والحمم ، والسّمك الذي لا قشر له ، فيصدرونه إلى غزة ، ويأخذون بدلاً منه أسماك اللوكس والجمبري . أما اليهود غير المتدينين فيأكلون كل أنواع السمك .

يكتب المؤلف في الفصل الثالث في تكاثر الإبل وتربيتها ، واهتمام العرب بها ، فقالوا فيها المثل الشعبي (الإبل لو تعرف الصلاة صلت) فكان رمزاً للثراء والغنى خاصة إذا كانت من الإبل الصافية ص 39 . ومع ذلك كان العرب لا يأمنون غدر الجمل فقالوا (زي الجمل الهذار) فهو في حالة الشبق يصبح شديد الفتك والعدوان لو رأى إنساناً أو حيواناً ، فقد يعتدي عليه وربما يؤذيه أو يقتله ..ص 42 لهذا قالوا (أحقد من جمل) (110) وكان يخرج على مالوفه ويشد وينفر من الطريق ، ويعطينا أقصى ما يستطيع من الإغراب أثناء رحلة الحج ، وكانوا يعتبرون ذلك هياماً برحلة الحج (111) ويتكلم في الفصل الرابع عن أسماء الإبل

حسب (السن و السناء واللون والعدد) وفق تطورها الزمني (العمري) : مباري(112) ، وحوار(113) ، ومصاص (114) ، ولبنى(115) ، مفروود(116) ، والمربوط(117) ، وحق(118) ، والجدة(119) ، ورباع(120) ، وخماس(121).

كتب المؤلف في الفصل الخامس عن وسم الإبل ، والوسم هو العلامة التي توضع عن طريق الكي بواسطة قطعة من الحديد المحمي على جسد الإبل . يقول العرب في مثلهم الشعبي (وسمك رسمك) وقولهم (وسومها على خشومها) للدلالة على ملكيتهم لهذه الدابة ، وكل قبيلة لها وسم خاص بها ، يقول الكاتب " نجد هذه الرسومات - الوسم - أصبحت الآن ملغاة ولم نجد لها أثراً على كل إبلهم وحيواناتهم" ص76 بسبب الاستقرار الأمني وارتفاع مستوى المعيشة . ويكتب في الفصل السادس عن (مميزات وخصائص الإبل) فقد وصف العربي كل أجزاء جسد الإبل من العين والرموش والأنف والأذن والشفة ، والأسنان والفم والفك ، والرقبة ، والسانم والخف ، وعملية الاجترار ، وحالة الصبر التي يتمتع بها الجمل فاسموه (أبو أيوب) رمز الصبر والصمود على المشاق والجوع والعطش ، وتحدث عن لحومها وجلودها ووبرها ولبنها . وكتب في الفصل السابع عن الإبل في القضاء الشعبي فقد جعل العرب دية القتل أربعين بعيراً ، والرجل المتهم المعترف بجريمته يقول (أنا جملكو وحملوني) بمعنى أنه يستطيع تحمل ما يفرض عليه من عقاب ، أما إذا سرق أحدهم جملأً يفرض عليه القاضي

الأحكام التالية :ص111

1- إما أن يدفع لصاحب الهجن الصافي خمسة هجن .

2- أو يقوم بإعادة الهجن المسروقة .

أما إذا اختلفوا فيما بينهم فإن القاضي يكون من (أهل الصفى) أي المتخصص في مثل هذه القضايا .

ويكتب في الفصل الثامن عن وسائل قيادة الإبل فيقول : " قيادة الإبل وتزليلها ليس بالأمر الهين عند ابن البادية وكذا القرية على حد سواء ، فهي تحتاج إلى دراية وخبرة فائقة لفن قيادتها" ص121 ، ولتسهيل عملية القيادة يضعون في أنفه خيطاً رفيعاً من الشعر يطلقون عليه الخزام أو (السبيب) أما الحبل الذي يربطونه في عنق الجمل فاسموه (الرسن) وقد استخدموا الرسن للحث على الحزم فيقولون (شد الرسن) ، وعلى السخرية من عدم ترتيب الأمور فيقولون (اشترى الرسن قبل الجمل) أو (باع الجمل وخلا الرسن) .

يوضح الكاتب في الفصل التاسع أنواع الإبل وفن استخدامها ، منها :

1- إبل حمل الأثقال 2- الجمال : وهو الرجل الذي يمتلك أعداداً منها ويقوم باستخدامها لنقل

البضائع أو يوزعها لعمليات الحرث والدرس ص137

3- إبل الركوب والسفر في ترحالهم ، ويعرفون قوافلهم باسم (شيع القوم) وهنا يستخدم نوع

(الجدع) وهو سن الرابعة ، ويستخدمون للسفر البعيد الجمل وهو في سن الخامسة .

4- جمل المحامل : وهو الجمل الذي كانوا يحملونه كسوة الكعبة والصدقات داخل " هودج " مزين بأجمل الحرائر المزركشة والمرصعة بآيات من القرآن الكريم ، ويسمى قائد الركب (أمير المحمل الشريف) وقد قاد هذا المحمل في نهاية العصر المملوكي كثير من أمراء مدينة غزة من آل رضوان (122) وكان ذلك في عام 697 هـ . ص 153 .

ويكتسب في الفصل العاشر عن الإبل في الرعي والزراعة ، ولأنه الحيوان المفضل في جنوبي فلسطين ، كانوا يستخدمونه في عملية الحرث ، رغم إدراكهم بعدم قدرته المرنة لهذه العملية ، نظراً لخفه المستدير المفلطح ، الذي يعمل على طمس ما شقه المحراث ، فقالوا في مثلهم الشعبي (مثل محراث الجمال اللي بتحرته بتدبكه) أي يسويه فلا تظهر آثار الحرث .

وفي الفصل الحادي عشر يكتب في (الإبل وورود الماء) فيذكر أن العربي كان يحفر الآبار طلباً للماء فيقوم باستخراج الماء وعرضها أمام الجمل للشرب ، وفي الشتاء يذهبون بهم إلى الوديان وأماكن تجمع مياه المطر (123) . ثم كتب عن أمراض الإبل في الفصل (الثاني عشر) فيذكر أن أهم الأمراض التي تصيب الإبل هو (الجرب) وهو من الأمراض الجلدية الشائعة ، ونظراً لأنها سريعة الانتشار ، كانوا يقومون بعزل الجمل المصاب وطيئه بالقار ، وفي ذلك يقول الشاعر الجاهلي النابغة الذبياني مخاطباً النعمان ملك الحيرة :

فلا تتركني بالوعيد كأنني * إلى الناس مطلي به القار أجرب

ويكتب في الفصل الثالث عشر عن أهمية الإبل في الأفراح و الأتراح ، فكانت الفتاة تمهر بالإبل ، فبنت العم يتراوح مهرها ما بين جمل إلى خمسة جمال ، أو اثان من النوق ، أما مهر البنت من خارج نطاق العائلة أو العشيرة ، فيتراوح ما بين خمسة إلى عشرين جمل ، وعندما تزف العروس لبنت زوجها فإنها توضع داخل هودج على ظهر ناقة أو جمل ، وتحف بالجمال المهودج الخيول والإبل و حشد من الرجال والنساء . وعن الإبل في الأغاني والألعاب يقول المؤلف في الفصل الرابع عشر : استطاع " البداغ " (124) الفلكلوري الفلسطيني أن يروح عن الأطفال بأغان ابتدعها للترفيه عنهم ، متخذاً من صحبة الجمال أغاني شعبية تمتاز بقصرها وبساطة كلماتها ، منها أغنية شعبية يغنيها الأطفال في فلسطين حتى يومنا هذا ، ضمن لعبة شعبية معروفة ، للبحث عن شيء مخبأ في مكان ما ، فيقول أحدهم : ص 230

جمال ابن جمال ... سرقوا لك جمالك

فيرد عليه الطفل الباحث عن الشيء المخبأ .

سيفي تحت راسي .. مايسمع كلامك

ثم ينطلق للبحث عن الشيء المخبأ .

لقد ضعفت أهمية الجمل في العصر الحديث بعد ظهور السيارة ، مما أزعج العاملين في هذا المجال ، فأبدعوا قصصاً شعرية يتحاور فيها الجمل مع السيارة الحديثة عن أهمية الجمل في وجه السيارة ، وأيهما أفضل للبيئة وأقل تكلفة ، وأفضل مشياً في الرمال ص 240 .

يذكر الكاتب في الخاتمة موضوعات عدة منها : تأثير الإبل في حياة الفلسطيني ، في إبداعاته الزجلية ، والأهازيج ، والمثل ، يقول : " ومن إيلاء هذه النخبة من الزجالين والبداعين رجالاً ونساءً ، ومن قبلهم أجدادهم اهتمامهم البالغ بهذا الحيوان وارتباطهم به ، كان دافع المستشرقين في وقت تنموا فيه قدرأ من زيادة الفكر والثقافة في القرنين السابقين - في أن يشنوا حملاتهم المسعورة المسمومة على هذا الحيوان " الجمل " فوصفوه بأقذر الصفات ، ونعتوه بالغباء الذي يفوق غباء الحمار ، ولهم في ذلك أهدافهم الخبيثة الرامية إلى قذح العربي المقتنر به "ص 245 يلحق المؤلف مجموعة من الصور القديمة والحديثة للإبل، إما عن التماثيل المحفورة في الصخر أو صوراً من المراجع.

ظواهر عامة

رأينا مجهود سليم عرفات المبيض وإسهامه في جمع بعض الفنون القولية الشعبية الفلسطينية ودراساتها ، وقد لاحظنا ظاهرة تكرار بعض الأفكار في كتبه ، هنا نحاول استخراج بعض هذه الأفكار والظواهر العامة التي تنظم حركة الكتب الأربعة:

1- ركز المبيض دراساته في منطقة جغرافية واحدة وهي إقليم غزة بما في ذلك كتابه (الإبل) وإن ذكر غير ذلك ، لأن الإبل مركز جنوبي فلسطين ، والسبب كما ينكر دائماً هو أن المنطقة مركز حضارات وكان التطبيق عنده يحتاج إلى توسع أكثر فلم ألحظ أمثلة من منطقة بيت لاهيا أو بيت حانون أو المجلد والقرى المجاورة لها أو من شرقي خان يونس ، وكلها تقع في المنطقة محل الدراسة ، إقليم غزة.

2- إن البحث عن التراث لم يكن ترفاً عند سليم المبيض وإنما دافعاً قومياً بحثاً ، وقد زاد الاهتمام به بعد العام 1967 ، عندما واجه الشعب الفلسطيني مجموعة من الأزمات النفسية ، وأصبح البحث عن الذات من خلال التراث ، ليجد فيه الشعب ضالته النفسية بعد الهزيمة ، لهذا كانت الحماسة صادقة وقوية . ففي مرحلة الانتفاضة الأولى 1987 تاجعت الروح الشعبية بالقومية ، وأرادت الجماهير توصيل هذه المشاعر إلى العالم بأكمله عبر تراثنا ومعالم شخصيتنا ، فانبهرى المبيض لجمع التراث ودراسته . إن محاولة إسرائيل سرقة التراث الشعبي الفلسطيني⁽¹²⁵⁾ ، ثم الإدعاء بأن الفلسطينيين لا يملكون تراثاً ولم تكن لهم دولة عبر التاريخ ، متناسين أن فلسطين كانت جزءاً من الشام العربية وأن كلمة فلسطين وردت مئات المرات في التوراة كدولة وشعب . وكان من الطبيعي أن يكون لهم دولة حسب اتفاقية (سايكس بيكو) 1917 م في تحديد الخارطة العربية بعد الحرب العالمية الأولى ، ويضح الفلسطينيون دائماً إلى دولة ذات سيادة ، ضمن إطار عربي موحد .

ومما يلاحظ تركيز المبيض في كتبه على الدراسات الاستشرافية والكشف عن كثير من أهدافها البغيضة ثم على الدراسات التراثية في فنلندا ، فليس غريباً أن تنشط الدراسات الفلكلورية في فنلندا بسبب محاولات الاحتلال السويدي القضاء على اللغة الفنلندية ومعالمها الثقافية والعلمية ، وبعد مئة عام استيقظ الفنلنديون ليؤسروا دراسات مجمع الأدب الشعبي ، ويضعوا منهاجه وأساسه في العالم ، هذا ينطبق تماماً على الحالة الفلسطينية ، لما تمارسه إسرائيل من محاولات مدروسة ومسعورة في سرقة التراث الفلسطيني وتهويده ، كذلك عمد الألمان إلى جمع التراث الألماني الأصيل بعد أن خشوا من أن تؤدي موجة الإمبريالية إلى تغيير معالم الشعب الألماني وخصائصه .

هذا ما دفع الباحثة الفنلندية (هيلما جرانكفست) إلى جمع التراث الفلسطيني ودراسته بمنهجية حديثة ، وربطت فيها مادة هذا التراث بالحياة الاجتماعية ربطاً وثيقاً ، وهي تدرك أن الشعب الفلسطيني سوف يصيبه ما أصاب شعبها ، فكانت صادقة في دراستها ، بعيدة عن أهداف غيرها من الباحثين ، الذين تدعمهم القوى الصهيونية ، وهي أشبه بالدراسات الشعبية التي ارتبطت بالاستعمار الفرنسي المحتل لبعض دول إفريقيا ، لدراسة أحوال الشعوب الإفريقية ومعرفة أسرارها ليسهل عليهم إخضاعها . (126)

إن البحث في تراث الأمة مرادف للبحث عن شخصيتها وعن سلوكها ، واحتياجاتها الروحية و النفسية ، فقد ربط تراث الشعب حاضره بماضيه ، ووجوده على السبقة الجغرافية التي رست فيها دعائم هذا التراث . إن التشابه بين تراث الشعب العربي في الأقطار العربية يرجع إلى أن شعوب الأقطار العربية عاشت معاً في آفاق حضارية واحدة ، ووجود صلات بشرية وثيقة ، وقد نجح المبيض في ربط الشعب الفلسطيني بعمقه الاستراتيجي العربي .

3- جمع المادة:

من أهم المشاكل التي واجهت سليم المبيض هي صعوبة التنقل في مرحلة الانتفاضة الأولى، وهي المرحلة التي تأجج فيها الشعور القومي بسبب كثرة الإضرابات ، وإغلاق الطرق، وانقطاع التيار الكهربائي المستمر. في تلك الفترة كان يحرم على أي فلسطيني الحديث عن محاولة لإثبات الشخصية ، أو الكتابة أو النشر .

ونلاحظ أن المبيض قد نشر كتبه خارج البلاد في القاهرة بعيداً عن مقص الرقيب الإسرائيلي . لهذا جاء الاهتمام بالراوي وطريقة روايته ، والبحث عن العناصر الثابتة والمتطورة في روايته ، وهو بالتالي لم يذكر أسماء الرواة لكل مادة تراثية ، وهذا جعلنا نخلط بين الأمثال الشعبية البدوية والأمثال في المدينة والقرية . لكنه نجح في ربط النصوص

بالتغيرات التي طرأت على المجتمع الفلسطيني بعد النكبة ، وطموحاته بالعودة ونتيجة تأثره بالأحداث المتواصلة .

كانت عملية الجمع لدى المبيض تستهدف أن تأتي النصوص المجموعة على أوسع مدى ممكن من التمثيل الديمغرافي لسكان المنطقة محل الدرس . ولم تكن انتقائية البتة ، كما أنها لم تكن استنزافية على الإطلاق ، ذلك أنه لا يمكن حصر كل الموروث الذي قيل في الجمل والحصيدة ، والبحر ... وغيرها نظراً لكونها متجددة في بعض الموضوعات والأحداث والتجارب ، فهي نبع دائم التدفق ، أما الحصيلة التي نجم عنها اجتهد المبيض ، فهي جيدة ، وتتمثل في آلاف الأمثال الشعبية ومئات الأهازيج وعشرات الأغاني الشعبية ، وقليل من قصص وحكايات الأمثال الشعبية التي لم تكن في منهج المبيض أثناء عملية جمع المادة . ولو قدر له جمع القصص الخاصة بالأمثال لأنّج لنا كتباً أخرى . إن عملية الجمع التي قام بها المبيض بصورة شخصية طويلة وشاقة ومكلفة ، فهي بحاجة إلى نفس طويل ، وتحمل المشاق ، فالمبيض يتمتع بشخصية قوية ومقدرة على تحمل المصاعب ومعالجتها ، ولديه نفس طويل في البحث والمثابرة والتحدي .

وما يميز أبحاث سليم المبيض ، أنها لم تقتصر على تقديم النصوص كما فعل البعض ، بل عمد إلى الدراسة والتحليل والتعليق ، وقد سبق غيره في استخدام بعض المناهج في الدراسات الشعبية ، فهو أول من استخدم (المنهج الجغرافي) في تحليل النصوص الشعبية ، فقد درس جانباً مهماً من تراث شعب يعيش في ظروف تاريخية وبيئية محددة ، لإدراك فلسفته ونمط حياته . ولم يكن عمل المبيض سوى رؤية فردية ، استجابة لدوافع قومية . إن مثل هذه الدراسات تحتاج إلى عمل مؤسساتي لأنها بحاجة إلى دعم مادي للباحثين .

وعلى الرغم من النشاط البالغ الذي أولاه هؤلاء الرواد فإن العمل الميداني في هذا المجال لا ينتهي ، لأن جمع مادة التراث الشعبي لا تعني فقط أن تجمع بين الحين والآخر بقصد دراسة تطورها وتطور المجتمع الشعبي الذي أفرزها . وما فعله المبيض وزملاؤه جزء من أدوات التحدي والمواجهة والتجذر في عمق الأرض الفلسطينية ورغم ذلك يصعب علينا اللحاق بركب الأمم المعاصرة التي قطعت شوطاً كبيراً في إرساء مناهج دراسات التراث الشعبي .

- 1- نمر سرحان موسوعة الفلكلور الفلسطيني، البيادر، الأردن ، ط2 ، 1988، ص5.
- 2- توفيق زياد ، صور من الأدب الشعبي الفلسطيني ، عكا ، ط2 ، 1994 ، ص11.
- 3- سليم عرفات المبيض ، ملامح الشخصية الفلسطينية في أمثالها الشعبية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1990 ، ص8.
- 4- المرجع السابق ، ص8 .
- 5- وليد ربيع ، نشأة الفلكلور ، مجلة التراث والمجتمع ، ع2 ، مج1 ، تموز 1974 ، ص28 .
- 6- المرجع السابق ص28 .
- 7- شوقي عبد الحكيم (دكتور) ، الحكايات الشعبية العربية ، بيروت ، 1980 ، نقلاً عن الملامح الشخصية الفلسطينية ، مرجع سابق ص9.
- 8- رشدي الأشهب (دكتور) ، الحكايات والأساطير الشعبية في منطقة الخليل ، جمعية الدراسات العربية ، القدس ، 1983، ص30 .
- 9- الحكايات والأساطير الشعبية في الخليل ، مرجع سابق ، ص31.
- 10- نبيلة إبراهيم ، الدراسات الشعبية بين النظرية والتطبيق ، مكتبة القاهرة الحديثة ، القاهرة، (د.ت) ص203.
- 11- الدراسات الشعبية بين النظرية والتطبيق ، ص203 .
- 12 - معروف أنه بعد نكبة 1948 تحول اسم الضفة الغربية إلى مصطلح (الضفة الغربية للأردن) وقد تم الفصل الإداري بين الضفة الفلسطينية ، والمملكة الأردنية بتاريخ 1988\7\31م
- 13- الحكايات والأساطير الشعبية في الخليل ، ص31.
- 14- الدراسات الشعبية بين النظرية والتطبيق ، مرجع سابق ، ص201 .
- 15- الحكايات والأساطير الشعبية في الخليل ، ص29 .
- 16- اعتمدنا في ذلك على موسوعة نمر سرحان ج1 ص119.
- 17- ظهرت مجلة " Journal of the Palestine Oriental " وفيها أبحاث كثيرة عن الفلكلور الفلسطيني باللغة الإنجليزية من قبل عرب مثل : أسطفان ، توفيق كنعان ، عمر البرغوثي وغيرهم .(الفلكلور الفلسطيني ، وليد ربيع ، مرجع سابق ، ص29)
- 18- هي طاسة نحاسية دائرية الشكل ، قطرها حوالي 10 سم ، وبعمق 4سم تقريباً مكتوب عليها آيات قرآنية في كل اتجاه ، ومعلق في حوافها قطع نحاسية دائرية صغيرة بسلاسل نحاسية بطول 1سم تقريباً ، وفي وسطها هيكل نحاسي أشبه بقبة الجامع ، فإذا واجه الإنسان

- موقفاً يضطرب منه يشرب فيها جرعة ماء تقيه شر مضاعفات هذه الطربة ، ولم تعد هذه العادة موجودة في المجتمع الفلسطيني إلا نادراً ، ويطلق عليها البعض (طاسة الطربة) (الباحث) .
- 19- موسوعة الفلكلور الفلسطيني ، نمر سرحان ج 1 ص 119 .
- 20- موسوعة الفلكلور الفلسطيني ، نمر سرحان ج 1 ص 123 .
- 21- موسوعة الفلكلور الفلسطيني ج 1 ص 123 .
- 22- خاضت هذه السيدة انتخابات رئاسة السلطة الفلسطينية ، التي أجريت عام 1995 . (الباحث)
- 23- صدر العدد الأول في نيسان 1974 ، وصدر العدد الثاني عشر والأخير في آب 1979م .
- 24 - الدراسات الشعبية بين النظرية والتطبيق ، نبيلة إبراهيم ، ص 169 .
- 25- للاستزادة في ذلك انظر ، موسوعة الفلكلور الفلسطيني ، نمر سرحان ، ج 1 ص 117 .
- 26- يدفعنا هذا لصناعة قاموس لهجوي كل خمسين أو مائة عام على الأكثر ، ثم لأي لهجة نضع القاموس ، هل اللهجة أهالي شمال فلسطين ؟ أم جنوبها أم وسطها ؟ أم لأهل الساحل ؟ أم لأهل المناطق الجبلية ؟ أم لكل قرية ؟ وهذا أمر يصعب السيطرة عليه . وأرى أن البديل عن صناعة هذا القاموس ، هو تحليل كلمات اللهجة العامية الصعبة ، في الهامش لكل عمل أدبي شعبي ، ويعطي هذا استمرارية لتحليل الكلمات في كل مرحلة تاريخية .
- 27- سيرته الذاتية في لقاء مع الباحث في منزل المؤلف بتاريخ 2004\1\5م .
- 28- في كتابه : الأدب الشعبي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط 3 ، 1971 ، ص 23
- 29- في الأصل (كرد فعل) والصحيح (ردة فعل) .
- 30 - المدرسة التاريخية الجغرافية من أعلامها : كرون ، وأرني ، وطومسون ، وتختلف هذه المدرسة عن المدرسة الهندية والأنثروبولوجية ، في أن منهجها قد جاء ابتداءً من دراسة الحكايات الشعبية الأوروبية ، وعملت في مناخ إنساني خالص ، وقد اهتمت هذه المدرسة بصفة خاصة بالجمع والتصنيف لمواد الفلكلور ، وقد أكدوا في دراستهم انتشار الحكايات الشعبية المختلفة . (الفلكلور ما هو) مرجع سابق ، ص 72 .
- 31- سليم المبيض ليس راوياً بل جامع لما يروى ، وهو باحث ، يبحث مع شيوخ الرواة أثناء عمله الميداني ، ونلاحظ أنه لم يعتمد على راوٍ ناشئ ، فالباحث الجيد يجلس مع كبار الرواة ويستمع إليهم ، ثم عليه أن يفهم النوع الأدبي الذي يستهويه حتى تصبح الموضوعات التي يسمعا ويتحدث بها شيئاً مألوفاً له ، وتزداد الألفة كلما استمع إلى الروايات أكثر (انظر الدراسات الشعبية بين النظرية والتطبيق ص 31)
- 32- انظر مقدمة كتابه (الأغاني الشعبية في فلسطين والأردن) ، جامعة بير زيت ، رام الله 1979 ،

- 33 - الهيئة العامة للكتاب القاهرة ، 1973 .
- 34 - انظر احمد رشدي صالح ، الأدب الشعبي ، مرجع سابق ص15 وما بعدها .
- 35 - جاء هذا المنهج (الجغرافي) استجابة ملحة للريفة في دراسة حضارة الإنسان في ارتباطها بالمكان فطبيعة البيئة وارتباطها بظروف تاريخية محددة يكونان شخصية الشعب ، وقد ساعدت هذا المنهج على إبراز معالم الإنسان ومعالم حضارته في الحيز المكاني الذي يعيش فيه (الدراسات الشعبية بين النظرية والتطبيق) ص65
- 36 - فوزي العنتيل ، (الفلكلور ماهو) ، مرجع سابق ، ص123 .
- 37 - انظر في ذلك كتاب: زكي العيلة ، تراث البحر الفلسطيني، القدس 1982 .
- : ابن قتيبة (الأنواء) الكتاب في الأصل مخطوطة بدار الكتب المصرية . (وللكتاب قيمة خاصة تظهر في شرح بعض الألفاظ والتعابير الفلكية التي وردت في القرآن الكريم والحديث الشريف) ابن قتيبة ، عبد الحميد الجندي ، وزارة الثقافة المصرية ، أعلام العرب 1963 ص130 .
- 38 - يحاول الطرفان الفلسطيني والإسرائيلي إثبات علاقته بالأرض الفلسطينية ، علماً بأن هذه القضية - في نظري - محسومة تاريخياً فقد جاء في التوراة ذكر للشعب الفلسطيني مئات المرات خاصة في سفر صموئيل الأول ، وصموئيل الثاني وفيه اعتراف واضح بأرض فلسطين ، فقد جاء في سفر الملوك الأول ، الإصحاح الرابع ، فقرة 21 " وكان سليمان متسلطاً على جميع الممالك من النهر إلى أرض فلسطين ، وإلى تخوم مصر " اعتقد أن ردة فعل الفلسطيني تجاه ما تقوم به إسرائيل من سرقة الأرض والتراث الفلسطيني كانت ثقافية ، نتيجة للضعف العسكري في توازن القوى مع إسرائيل .
- 39 - (وفي بعض الأحيان يضمن العامة أمثالهم أسماء وقائع حقيقية من التاريخ) الأدب الشعبي ، مرجع سابق ، مثل قولهم (على هاما يا فرعون) ، وقولهم (قالوا لفرعون ايش فرعنك قال: ما لقيتش حد يقلي هس)
- 40 - بؤونة يعادل شهر أكتوبر ، بينما في فلسطين تكون مطرة الصليب في 9\27 وحتى أول أكتوبر (نفسه ص24)
- 41 - لا توجد في القواميس العربية مادة (ه ز ج) فهي ليست عربية .
- 42 - مدير الزراعة والثروة السمكية سابقاً ، من مواليد غزة 1932 .
- 43 - يصل طوله إلى 15 متراً وعرضه 5 أمتار ، وكان يسير بعدد كبير من المجاديف ، ثم صار يجره اللنش الميكانيكي .
- 44 - لقد تأكدت من صحة هذه المعلومات من بعض شيوخ البحارة في غزة منهم :
الريس سليمان محمد بكر (أبو هاني) من غزة مواليد 1948 .
الريس رجب الهسي (أبو رشاد) مواليد يافا 1928 .

- 45- للاستزادة في تراث البحر انظر : زكي العيلة ، تراث البحر الفلسطيني، القدس ، 1982.
- 46- الدارس الميداني يستعمل "أساليب وطرائق الدراسة الميدانية ، ويطبق عدداً من قواعدها ، مثل : الإقامة الطويلة في المجتمع المدروس، ودراسته في نواحيه الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية والتكنولوجية كافة، " حتى يتسنى للباحث فهم مصطلحات وتعابير الأدب الشعبي ، وإشعاعاتها ، وظلالها ، لما لذلك من أهمية في فهم نفسية الشعب المستخدم لها .
- (مقدمة في الأنثروبولوجيا الاجتماعية ، لوسي مير، ترجمة شاكر سليم ، وزارة الثقافة العراقية ، 1983 ، ص354).
- 47- مثال ذلك كلمة (ليصه) بمعنى إلحق المركب ، وقد حدثني الحاج عبد الباري أبو حصيرة أن كلمة (ليصه) تعود إلى مركب سيدنا نوح (عندما طلب من زوجته ليصه أن تلحق به في المركب ثم تواترت إلى عامة الناس) وهذا كلام شعبي لم نجد له أصلاً في الكتب السماوية .
- 48- أطلق المؤلف في ص 7 مصطلح (أركولوجيا) على الطبقات (Archalaeology) الحضارية وهو يعني (علم الآثار القديم) "ويدرس علم الآثار القديمة الماضية ، بقدر ما يتعلق الأمر بالمجتمعات الإنسانية وحضارتها في العصور القديمة، عن طريق التنقيب .. وأكبر أهدافه إعادة بناء الحضارات القديمة " مقدمة في الأنثروبولوجيا الاجتماعية ، مرجع سابق ص348.
- 49- الفلكلور ما هو ، مرجع سابق ص25.
- 50 - علم اثنوغرافيا (Ethnography) فرع من الأنثروبولوجيا الاجتماعية وهو علم وصف حضارة شعب معين يرسم صورة دقيقة لطرائق معيشته ونظمه وعلاقته الاجتماعية ، ويعتبره الأمريكيون فرعاً من الأنثروبولوجيا الحضارية ، وليس فرعاً من الأنثروبولوجيا الاجتماعية، والفرق بين الاثنوغرافيا و الاثنولوجيا ، أن العلم الأخير يركز على المقارنة بين الحضارات الغابرة منها والمعاصرة)
- مقدمة في الأنثروبولوجيا الاجتماعية ، مرجع سابق ، ص354
- 51-الفلكلور ماهو ،مرجع سابق ، ص23
- 52-"يركز هذا المنهج حول البنية التركيبية في المجتمع الشعبي وعلاقتها الوثيقة بالتراث الشعبي ، وبحملة هذا التراث وإبراز القوة التي تستمدّها الجماعة من التراث الذي تستقبله من غير وعي،وتحرص علي المحافظة عليه ، لأنها تعبر من خلاله عن كيانهم الاجتماعي المتماسك "الدراسات الشعبية بين النظرية والتطبيق مرجع سابق ص68.
- 53-الأدب الشعبي ، مرجع سابق ، ص98
- 54-اقتصرت الدراسة هنا على القرى والمدن التي لا تزال تعيش في حيز مكاني - وما يزال أفرادها متمسكين بالعادات والتقاليد القديمة ولم يعمد المؤلف إلى الوصول إلى

استيطان جديدة ، مثل أحياء غزة الجديدة ومخيمات اللاجئين الفلسطينيين الذين اختلطوا بسكان مدينة غزة ومرد هذا القصور هو منهج الباحث في تحديده المكان الجغرافي بدقة ، وهدفه من هذا هو إظهار الشخصية الفلسطينية القديمة ، بعيداً عن رؤيته للمتغيرات الجديدة ، التي لا تخدم هدفه في هذا الكتاب ، ومع ذلك لم نجد حضوراً لسكان رفح وخان يونس ودير البلح من الفلاحين .

55- حنا فاخوري، الحكم والأمثال ، دار المعارف ، القاهرة ، ط3 ، 1969، ص9.

56- ملامح الشخصية ، ص28 ، لا شك أن المؤلف تعمق كثيراً في مفهوم المثل الشعبي، لينطبق كلامه على كل الإبداع بما فيه الحكمة والشعر والرواية ، لكن التعريف المبسط للمثل (هو قول ماثور نتج عن قصة شعبية ، ولاقى استحساناً لدى عامة الناس ، فجرى على ألسنتهم) هذا التعريف قد لا ينطبق إلا على المثل الشعبي .

57- لاحظنا ذلك من خلال معايشتنا لهم في مرحلة السبعينيات .

58 - محمود ذهني ، الأدب الشعبي العربي ، الأنجلو المصرية ، 1972، ص34.

59- (ومن الذين أرخوا للسحر تابعوا ما يظن أنه منحدر من البابليين والآشوريين وفراغة مصر ، وجروا على ذلك الاعتبار ، واهتموا بما اسموه طريقة النبط ، ومنهم ابن خلدون) في فصل علوم السحر والطلسمات ، مطبعة الحج سلام بمصر ، (د.ت) صفحة 433.

60- هو طلاس مكتوبة داخل قطعة قماش أو جلد ، مطوية على شكل مثلث، يضعها صاحب الحاجة في مكان ما حسب طلب المشعوذ ، الذي أطلق عليه حديثاً اسم (الطب النفسي الشعبي) لينال به حظوة ، أو لينال به من خصمه (الباحث) .

61- ينبغي ألا نهمل تأثير مسيحيي فلسطين في حياة فلسطين الإسلامية، فقد دخل بعضهم الإسلام وكانوا من أرقى طبقات المجتمع وأكثرهم نشاطاً في مختلف وجوه الحياة ، فتيسر لهم أن يذيعوا أعيادهم في المجتمع المسلم ، وقد اتضح ذلك جلياً في دراسة يسرى جوهريه عرنيطة ، الفنون الشعبية في فلسطين ، مرجع سابق.

62- انظر في ذلك الفنون الشعبية في فلسطين ، مرجع سابق ، ص161 .

63- الشعار السياسي من انتاج النخبة السياسية ، وذيوه مؤقت ، وهناك ما يسمى ، المثال الشعار ، وهو مقولة تستند إلى مثل ، وهذا لا ينطبق على معظم ما جاء في كتاب المبيض، ومثال المثال الشعار : (ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة) فهو يستند إلى المثل الشعبي (ما يجيب الرطل إلا الرطلين) و (ما يضيع حق وراءه مطالب) . انظر في ذلك : الشعار السياسي الفلسطيني ، علي أبو مرسة ، رسالة ماجستير في جامعة الأزهر بغزة، سنة 2002.

64- (نشأ اللغز الشعبي عبر معتقدات بدائية ، وفي طقوس خاصة ، ثم تعاقبت العصور والأجيال ونسي الباعث الأول على خلق اللغز ، فأصبح مجرد باب طريف من أبواب السحر) انظر أشكال التعبير في الأدب الشعبي ، نبيلة إبراهيم ، مرجع سابق ، ص200 ، ومن الألفاظ

الفلسطينية المعروفة قولهم " طاسة طرنطاسة في البحر غطاسة من جوا لولو ومن برا نحاسة " إنها ثمرة الرمان.

65- الكتابة الصحيحة للعبارة التي تحولت إلى ما يشبه المثل (عوماي يا بنت اللواطي عوماي) وليس النواتي كما جاء في الكتاب وهي حكاية مشهورة .

66- (ومما يجدر ملاحظته أن جدول الشعوب في سفر التكوين لا يذكر الكنعانيين ضمن الساميين ، وإنما يذكرهم كأبناء حام ، وقد يرجع ذلك إلى الاعتبارات الجغرافية ، والسلالية ، وقد تدخلت فيها الاعتبارات الدينية ، فقد نسب إلى حام - بالإضافة إلى الزوج- كل أولئك الذين كانوا معادين أو كانوا يشكلون خطراً على الشعب المختار (الفلكلور ما هو ، مرجع سابق.ص213 . كذلك انظر دائرة المعارف البريطانية (Jews) و(كنعان) .

67- د. برونو فسكي ، ارتقاء الحضارة ، ت د . موفق شحاتيرو ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، مارس 1981، ص25.

- جون ويلسون ، الحضارة المصرية ، ت د . أحمد فخري ، القاهرة ، 1955 ، ص229 .

68- قام بهذه الحفريات البروفسور (جون غارسنق) 1936 ، وكذلك في عامي 1956 -

1957 وقامت كذلك (كينون) بني سنتي 52 - 1958 وقد دونت ذلك في كتابها :

Kathleen kenyon, archaeology in the Hollogyland,third
Edition London 1970.

69- عندما يكون حبه مليئاً ومنتفخ وساقه غليظ مستقيم .

70- عندما يميل لونه للبياض المشوب بالصفرة وتكون ساقها رفيعة لا تقوى حمل سنابلها .

71- إذا كثرت الحبات في السنبل .

72- أي نضج وصار أهلاً للحصاد .

73- أي سنابله فارغة لقلة الأمطار .

74- أي لفحته الرياح الخماسينية فلا تتكون حباته .

75- عندما يكسوه السواد ويخلو من الحب بسبب الرياح الساخنة .

76 - عندما تتافسه الأعشاب الضارة فتضعف حباته ويصير حجمها رقيقاً.

77- عندما يعطش القمح فتضعف سنابله .

78- عندما تكون حباته ضعيفة وقليلة لهبوب الرياح الشرقية الساخنة لفترة طويلة .

79- أي تصيبه الحمرة وهي غلالة رقيقة حمراء أشبه بالصدأ (مرض الصدأ) وتحدث عند

مطول الأمطار أثناء تكوين الحب أي (عز عقاده)

80- المتميز بسنابله الصغيرة الحجم ، والمكتنزة بحباتها الكثيرة ، كبيرة الحجم .

81- ويمتاز بسنابله الطويلة والعريضة ، ويميل لونه الأصفر للاسمرار .

82- سنابله طويلة ورفيعة ، ويميل لونها للبياض .

- الحصيدة ، ص 24 ، وكذلك انظر (روز ماري ، الفلاحون الفلسطينيون، القدس 1983)
- 83- مساحته قد تصل لآلاف الدونمات .
- 84- تساوي مائة دونم .
- 85 - جمعها موارس ، قطعة من الأرض مستطيلة الشكل وتريد عن خمسة دونمات .
- 86- تصل مساحته إلى ألف متر .
- 87- قطعة عرضها 80سم ، أي ثلاث أو أربع خطوط حراث ، وطولها مثل المارس.
- 88- المنجل أصغر من القالوش .
- 89- أشبه بالمنجل لكنه أكبر حجماً .
- 90- منجل له أسنان حديدية .
- 91- منجل له يد حديد ، صغير الحجم .
- 92- أي أكوام كبيرة من القمح . الحصيدة ص 77 كذلك انظر (روز ماري ، الفلاحون الفلسطينيون ، القدس 1983)
- 93- القيمة : كومة القمح أثناء تنزيته .
- 94- أوجاريت هي رأس شمرا الواقعة في شمال الساحل السوري وهي مدينة أثرية عظيمة.
- 95- الأبار : حفرة تحفر في فناء الدار بالحجر ، ويتراوح عمقه من ثلاثة إلى خمسة أمتار ويغطي بغطاء محكم .
- 96- المظمورة : حفرة تتسع في أسفلها و تضيق في أعلاها ، تبطن بالقش ، ويخزنون فيها القمح .
- 97- الكمر : حفرة يصل عمقها إلى أربعة أمتار وعرضها حوالي مترين ونصف محفورة بالرمل وتبطن بالقش وترتفع عن مستوى سطح الأرض بمترين .
- 98- الخلايا : عبارة عن بناية إسطوانية الشكل من الطين ، يوضح فيها القمح والشعير .
- 99- الخابية : توجد داخل المنزل وهي اشبه بعلبة ضخمة يخزن فيها الشعير لها فوهة أعلاها وفتحة صغيرة في أسفلها .
- 100- السبايكة : عبارة عن غرفة يبلغ طولها ما بين ستة إلى ثمانية أمتار بعرض ما بين أربعة إلى خمسة أمتار مبنية من الطين وليس لها منافذ عدا الباب الرئيسي وفيها الغلال والدواب .
- 101- المداور: مصنوعة من الحصر على هيئة حوض دائري تعبا بالقمح على هيئة كومة .
- 102- الغرارة : كيس من الخيش يطلق عليه أهل غزة (الغرارة) .
- الحصيدة ص 178 وما بعدها - انظر: روز ماري ، مرجع سابق.
- 103- محمد بكر البوجي، محاضرات في تاريخ الأدب الجاهلي ، جامعة الأزهر ، غزة ، 1995، ص 33.

- 104- تبلغ مساحة قطاع غزة حسب اتفاقية رودس عام 1949 ، 361 كم² ، طوله 45 كم ، وعرضه ما بين 7-12 كم ، يقطنه حسب آخر إحصائية فلسطينية عام 1997 حوالي مليون ومئتي ألف نسمة وهي أعلى كثافة سكانية في العالم . (لجنة الإحصاء ، قطاع غزة)
- 105- كتب الناقد العربي (ابن قتيبة) كتاباً عن الإبل ، وهو مفقود . انظر: ابن قتيبة ، مرجع سابق ، ص133.
- 106- السائبة : التي يتركونها ثم ينبحونها نذراً لألهتهم . الحام : وهو فحل الإبل وله تقدير خاص إذا لقح ولد ولده .
- 107- تفسير البيضاوي ، سورة المائدة ، ص160 ، آية 103.
- 108- انظر: مجير الدين الحنبلي ، الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل ، ج1 ، عمان ، 1970 ، ص23.
- 109- هناك مقام للنبي صالح في كل من الأماكن التالية : بيت عفا ، وخربة عودة من قرى غزة ، وخلة صالح بالخليل ، وقرية الشجرة من قرى طبريا ، وقرية النبي صالح في رام الله . انظر: ملاحم الشخصية الفلسطينية، مرجع سابق ، ص74.
- 110- الحقد : حقد المطر انحبس ، وحقدت الناقة : امتلأت شحماً . والضغينة : ضغن الجمل إبطه ؟ فهل كان حقدهم تحت آبائهم ؟! . إبراهيم أنيس ، دلالة الألفاظ ، الأنجلو المصرية ، 1976 ، ص165.
- 111- انظر: الأدب الشعبي ، مرجع سابق ص165.
- 112- مباري : يطلق على إبن الناقة بمجرد ولادته .
- 113- حوار : ابن الناقة ذو العيون الجميلة .
- 114- مصاص : عند مضي ثمانية أشهر من ولادته .
- 115- لبني : سميت بذلك لأنها تعتمد على لبن أمها وحتى بلوغ عمرها السنة .
- 116- مفرد : مفرد ومفردة بمعنى مقطوعة ولأنه يفصل عن أمه وسمي التفصيل .
- 117- المربوط: ابن الثامنة في ختام السنة الثانية .
- 118- حق وحقه : بعد السنة الثالثة ، فيحملون عليها ويطلقون عليها "قاعود" .
- 119- الجدع والجدعة : وهما في سن الرابعة ويكون جاهز للعمل والحرث ويكون ماهر وحاذق .
- 120- رباع وربعية : عند ختام السنة الرابعة فهو رباعي لدلالة على صغر حجمه ، طبعه .
- 121 - خماس : عند سن الخامسة حيث يظهر الثاب في رأسها .

- انظر: ابن قدامة ، الخراج وصناعة الكتابة، تحقيق محمد الزبيدي، وزارة الثقافة العراقية ، بغداد ، 1981. كذلك ابن سيده ، المخصص، مج 2، دار الفكر العربي .
- 122- انظر في ذلك : إحسان نمر ، تاريخ نابلس والبقاء ، ج2 ، نابلس ، 1961 ، ص 199. وكذلك سليم المبيض ، وقفة موسى باشا آل رضوان، مكتبة ابن سينا ، القاهرة ، ص80 وما بعدها .
- 123- انظر: عارف العارف، القضاء بين البدو ، القدس ، 1933، ص174.
- 124- يطلق عليه البعض القويّل أو البتّيع ، انظر: يسرى جوهريه ، مرجع سابق ص66 ، وكذلك محمد البوجي ، بينا تاريخ وذاكرة ، مطبعة منصور ، غزة ، 2000 ، ص55.
- 125- عايشة شخصياً بعد الاحتلال الإسرائيلي لقطاع غزة عام 67، استغلال الإسرائيليين حالة الجوع في القطاع وبدعوا بشراء الثوب الفلسطيني بثمان بخس وكان الرجل المتجول في أزقة مخيمات اللاجئين يشتري الثوب بأقل من عشرة جنيهات مصرية رغم أن تكلفته أكثر بكثير ، وعلى إثرها تحول زي المرأة الفلسطينية إلى ما يسمى (داير وشاش) وكان الكل يجهل ما يدور حوله وفي النهاية تتجمع الأثواب عند التاجر اليهودي ليعرضها في العالم وكأنها صنعت بأيدي نساء إسرائيليات .
- 126- انظر : الدراسات الشعبية بين النظرية والتطبيق ، مرجع سابق ، ص35.

خلاصة البحث

يهدف سليم المبيض نحو جمع التراث الشعبي الفلسطيني وتحليله إلى توضيح علاقة الشعب الفلسطيني بالحياة والكون عبر آلاف السنين، وقد حاولنا الكشف عن الجوانب الإيجابية

في جهوده، وعن أهم القضايا المطروحة في كتبه، ومناقشتها، مع بيان دوافع تأليف كل كتاب، ومنهجه فيه، ثم أهميته في مسار حركة الدراسات الشعبية، فهو بحق يعد واحداً من البارزين في هذا المجال، وكان بحثه في التراث بدوافع قومية بحتة خاصة بعد عام 1967م، عندما واجه الشعب الفلسطيني مجموعة من الأزمات النفسية، وأصبح البحث عن الذات من خلال التراث، ليجد فيه الفلسطيني ضالته النفسية بعد الهزيمة، وكذلك في مرحلة الانتفاضة عندما أراد الشعب توصيل مشاعره ومأساته إلى العالم عبر الأدب الشعبي. فأتجه المبيض لجميع هذا التراث ودراسته، لأنه يبحث في شخصية شعبه وسلوكه واحتياجاته الروحية والنفسية في مرحلة الانتفاضة الأولى عام 1987م، رغم صعوبة الحركة في قطاع غزة في تلك الفترة بسبب الإضرابات المتواصلة، وقطع قوات الاحتلال التيار الكهربائي المتواصل، وكثرة الحواجز العسكرية، مما أدى إلى مزيد من العراقيل في وجه حركة المبيض لجمع مادته التراثية من أماكن مختلفة، ولأن هذا النشاط قد يؤدي به المساعلة إلى القانونية الإسرائيلية، فقد عمد المبيض إلى نشر كتبه خارج الوطن.

لقد نجح المبيض في ربط النصوص التراثية بالتغيرات التي طرأت على المجتمع الفلسطيني بعد النكبة، ولأن مادته شكلت أوسع مدى من التمثيل الديمغرافي لسكان المنطقة محل الدرس، فقد عبر بشكل واضح عن مجهود شاق وشخصية بحثية متميزة، فهو أول من استخدم (المنهج الجغرافي) في تحليل النصوص الشعبية في فلسطين. إن ما فعله المبيض هو جزء من أدوات التحدي والمواجهة وإثبات الذات.

Abstract

This paper is about the positive sides in Saleem El-Moubaid's efforts in his writings in which he has tried to collect and analyze Palestinian Tradition explaining its relation to life and universe over thousands of years. The research aims at exploring, discussing the main themes in his writings together with revealing the motives, the approach and the importance of his masterpieces in the folk studies movement.

The researcher has discovered that Al-Moubaid exerted sincere efforts to search for identity aftermath 1967 when Palestinian people faced a number of psychological dilemmas. Al-Moubaid did collect and study Palestinian traditions for truly

conducting a search in the Palestinian People characteristics, behavior and

psychological and spiritual needs. This was clear during the first Intifada in 1987. It was not easy for him to collect and move due to the hardships of that time. The most difficult thing was to be legally probed by the Israeli authority.

Al-Moubaid succeeded in relating the traditional texts to the changes that the Palestinian people faced after AL-NAKBA. Having covered the largest scope of demographic representation of the targeted inhabitants, **Al-Moubaid** proved a distinguished effort and a skillful scholar. He is the first who uses the geographical approach in analyzing the folk texts in Palestine. What Al-Moubaid did is an integral part of challenge, confrontation, and maintaining identity.

